الغيث المجلل

في ترجمة الشيخ عمر بن محمد السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

(١٣٧٧-١٤٢٣هـ رحمه الله تعالى)

تقديم

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس المجلس الأعلى للقضاء

وإمام وخطيب المسجد الحرام

وفضيلة الشيخ

صلاح بن محمد البدير

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

إعداد

سلمان بن سائد المشعل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

ح سلمان سائد المشعل، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المشعل، سلمان سائد
الغيث المجلل. / سلمان سائد المشعل.- الرياض ، ١٤٣٠هـ
٢٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٧-٣٦٧٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨
١- ائمة الحرمين الشريفين ٢- السبيل، عمر بن محمد ، ١٣٧٨-١٤٢٣هـ أ. العنوان
ديوي ٠٥٣١٢١, ٩٢٠ ١٤٣٠ /٦٩٦٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٩٦٣
ردمك: ٧-٣٦٧٠- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
ولمن أراد الحصول على كميات
أو طباعته مجاناً لوجه الله تعالى
الاتصال بجوال رقم: ٠٥٩٨٩٥١٠١٢

تقديم

بقلم معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس الشورى[1]

إمام المسجد الحرام وخطيبه

عضو هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:-

فإن فقد العلماء من أعظم الرزايا وأكبر البلايا، إذ بفقدهم تنطفئ مصابيح يهتدي بها الناس، ولا سيما أوقات الحيرة والفتنة، وإن ممن فقدنا من علماء هذه البلاد المباركة بلاد الحرمين الشريفين ـ حرسها الله ـ في السنوات الماضية العالم الشاب الحافظ الفقيه إمام المسجد الحرام وخطيبه، أبوأنس الشيخ/ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

لقد مضت ستة أعوام على فقد هذا العالم الشاب، الذي كان له في رحاب المسجد الحرام وعلى منبره وقفات وذكريات، ولا يزال ذكره رحمه الله نديا، والحديث عما اتصف به من خصال وشمائل غضاً طرياً، وذلك فضل الله تعالى يختص به من يشاء من عبادة فالذكر بعد الموت عمر ثانٍ.

ولست هنا بصدد الحديث عن حيات فضيلة الشيخ الدكتور/ عمر بن محمد السبيل، أو تعداد مناقبه؛ فهذا باب واسع ولي فيه مشاركة سابقة،

---

(١) عُيِّن معاليه رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

بيد أن الابن الشيخ/ سلمان بن سائد المشعل ـ وفقه الله ـ أوقفني على مسودة كتابه الماتع الموسوم بـ (**الغيثُ المُجَلَّل في ترجمة الشيخ عمر بن محمد السبيل**)، ورغب إلي في التقديم له.

والحق أني لست ممن يرغب في التقديم للكتب والمؤلفات؛ غير أني حين طالعت هذه الترجمة الوافية خالجتني مشاعر السرور والإعجاب، أما السرور فهو لوفاء المؤلف لشيخه الذي يستحق الوفاء، وأما الإعجاب فهو لهذا الأسلوب المتميز والاستيعاب الجامع لذي أسهم في بسط جوانب متعددة من حياة الشيخ الدكتور/ عمر رحمه الله، مما قد يخفى على من لم يعرف أبا أنس عن قرب، ولعل في ذلك ما يحفز شبابنا على أن يحذوا حذو هذا العالم الشاب، فقد كان أهلاً للاقتداء به في خلفه وسمته وصلاحه وورعه ـ رحمه الله وغفر له ـ.

وإني إذ أسعد بالتقديم لهذه الترجمة المستفيضة، أضرع إلى الله تعالى أن يتغمد حبيبنا بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنته ويبارك في عقبه ويجمعنا به في دار كرامته، إنه سميع مجيب.

كما أشكر لابننا الشيخ/ سلمان بن سائد المشعل هذا الوفاء الذي لا أستغربه من طلبة العلم والمنتسبين إليه، والله تعالى أسأل أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

د. صالح بن عبد الله بن حميد
رئيس مجلس الشورى
إمام المسجد الحرام وخطيبه
عضو هيئة كبار العلماء
١٤٢٩/٣/١٤هـ

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

والقاضي بالمحكمة العامة بالمدينة النبوية

الحمد لله الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، أحمده حمداً لا انقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قريب ممن يناجيه، سميع لمن يناديه، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، أتم البرية خيراً وفضلا، وأكرمهم فرعاً وأصلا، وأكرمهم عوداً ونجرا، وأعلاهم منزلة وأجرا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم على ذلك السبيل، وسائر المنتمين إلى ذلك القبيل.

أما بعد:

فإن خلد المكانة وبقاء الذكر الجميل واستمرار الثناء الحسن والصيت الطيب والحمد الدائم للمرء بعد رحيله عن هذه الدار هو الحياة الثانية والعمر الذي لا ينقطع:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

كم من العلماء والفضلاء والعظماء قد غيبهم الأجل وطواهم الموت، ولا زالت مآثرهم وآثارهم وممادحهم ومفاخرهم تبعث في المجالس طيباً وأرجاً وعرفاً، يعلو في الأرض ذكرهم ويرتفع في النفوس قدرهم.

إن قيل مات فلم يمت مَن ذِكره حيٌّ على مَرِّ الليالي باقِ

ويجعل الله للأنبياء والأصفياء والأولياء والعلماء والصلحاء لسان صدق في الآخرين، وينشر مآثرهم في عمل الصالحين، ويغرس لهم محبة ومودة في قلوب عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)، وذكراً جميلاً يُذكرون به في حياتهم وبعد مماتهم يكون حادياً للناس لعمل الخير وفعل الجميل والاقتداء الحسن.

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (النحل: ١٢٢) "يقول تعالى ذكره: وآتينا إبراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكراً حسناً وثناء جميلاً باقياً على الأيام".

ويقول الإمام ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ (ص: ٤٩): "أي: شرف وثناء جميل يُذكرون به أبدا".

وما أحسن ما قيل:

السعيدُ السعيدُ من صحب النّا ... س وولّى والذكرُ عنه جميلُ

يقول أبو بكر بن عيَّاش: "أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)" ا.هـ.

وشتان بين من اتفقت الألسن على مدحه ممن وجدت الألسنة كلها

متفقة على طرحه.

يقول السبكي في ترجمة أبي المعالي الجويني: " وظني أن آثار جدّه واجتهاده في دين الله يدوم إلى يوم الساعة وإن انقطع نسله من جهة الذكور ظاهراً فنشرُ علمه يقوم مقام كل نسب ويغني عن كل نشب مكتسب".

وقال سبط ابن الجوزي في تاريخه: " كان للموفَّق أولاد محمد ويحيى وعيسى ماتوا كلّهم في حياته وله بنات ولم يعقب من أولاد الموفَّق إلا عيسى خلَّف ولداً من الصالحين ثم مات وانقطع عقبه "ا.هـ.

سبحان الله.. مات الأولاد وانقطع العقب ولكن لم تمت مصنفاته العظيمة وآثاره الحميدة، فالمغني والكافي والمقنع وروضة الناظر وغيرها أحيت ذكره وخلدت مكانته وأعظمت بإذن الله حسناته وأجوره وأبقت الدعاء والثناء له، يقول الفقيه الأديب اللغوي يحيى بن يوسف الصرصري:

وفي عصرنا كان الموفق حجة ... على فقهه ثبت الأصول معولِ
كفى الخلق بالكافي وأقنع طالباً ... بمقنع فقهٍ عن كتابٍ مطوَّل
وأغنى بمغني الفقه من كان باحثاً ... وعمدته من يعتمدها يُحصِّلِ
وروضته ذات الأصول كروضةٍ ... أماست بها الأذهان أنفاس شمألِ
تدل على المنطوق أوفى دلالةٍ ... وتحمل في المفهوم أحسن محملِ

وعن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عَسَلهُ) فقيل: يا رسول الله وما عسَلَه؟ قال: (فتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يُرضي عنه مَن حوله) أخرجه أحمد وابن حبان وإسناده صحيح.

قال ابن قتيبة في غريب الحديث: " قولُه (عسَلَه) أراه مأخوذا من العَسل شبَّه العَمَل الصالح الذي يفتح للعبد حتى يرضى الناس عنه ويطيب ذِكْرُه فيهم بالعَسَل ".

وقال الزمخشري في الفائق: " هو من عَسَل الطعام يعسِلهُ : إذا جعل فيه العسل كأنه شَبّه ما رزقه الله تعالى من العمل الصالح الذي طاب به ذِكْره بين قومه بالعسل الذي يُجْعَلُ في الطعام فَيَحْلَوْلي به ويطيب ".

ومن الأعمال الصالحة التي تُفتح للموفَّقين فيرضى الله عنهم بها ويرضى عنهم بها خلقه: حبس النفسِ على إقراء القرآن والتحديث والتعليم ونشر العقيدة الصحيحة والتصدر للإفادة والتصنيف والتأليف وطباعة الكتب النافعة وابتناء المساجد والمدارس والمشافي ووقف الضياع والأربطة والمساكن التي يأوي إليها المنقطعون، وكثرة الصدقة وإدامة البِر والإحسان والشفقة على الضعاف وتزويج المعدوم وإعطاء المحروم وإنصاف المظلوم والأداء عن المحبوس وقضاء حوائج الناس ومواساة الفقراء وإدخال السرور على المرضى وحسن الخُلق ونفع الخَلْق والشفاعة الحسنة والإصلاح بين الناس وجمع كلمة الأُمة على الخير والهدى والتقوى والصلاح، إلى غير ذلك من طُرُق الخير ووجوه البر.

ومن ضعُف عن هذه الأعمال الجليلة والخصال الحميدة فليكُفَّ أذاه وشرّه عن الناس، وتلك مرتبة عليَّة ومنزلة كبيرة لا يتَّصفُ بها إلا من جاهد نفسه وهذَّبها وزكاها.

كم طامع بالثنا من غير بذل يدٍ ... ومشتهٍ حمده لكن بمجَّانِ

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ... حتى يروا عنده آثار إحسانِ

والمؤمن لا يعمل الخير اجتلاباً للمدحة ورغبةً في الثناء وطمعاً في الذكر؛ لأنه يوقن بأن من عمل فخراً ورياءً وسمعةً ورغبةً في عرض الدنيا وصرف وجوه الناس إليه فلن يُبارك له في عمله، ولن يُقبل منه سعيه.

لكن ثناء الناس على العامل المخلص كائنٌ لا محالة وهو عاجل بُشراه، فعن أبي ذر ﷺ قال: قيل: لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) أخرجه مسلم.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع) أخرجه ابن ماجه.

من يفعل الخير في الدنيا فقد ظَفِرَتْ يداه بالحمد من قاصٍ ومن دانِ

***

وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون مرَّ وهذا الأثرْ

لقد كان الفقيد العالم الفقيه الحبيب المحبوب إمام الحرم المكي وخطيبه فضيلة الشيخ عمر بن محمد السُّبيِّل خفيف الروح كبيراً متواضعاً جامعاً لخلال الخير لا يختلف اثنان في فضله وعلمه.

وكنت ممن شهد الصلاة عليه ودفنه، لقد ازدحم الناس على جنازته وضجّوا بالدعاء له والثناء عليه وهم يرجون له المنزلة العالية والجنة الغالية، وكانت جنازة مشهودة عظيمة، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله

فسيح جناته وبارك في عقبه وجمعنا به في دار كرامته ورضوانه.

ولقد أطلعني الشاب الصالح الشيخ/ سلمان بن سائد المشعل وفقه الله تعالى على مؤلَّفه الماتع وكتابه الجامع وقيله الرائع الذي سماه: (الغيث المجلل في ترجمة الشيخ عمر بن محمد السبيل) وطلب مني التقديم له، فحققت رغبته وأجبت دعوته، سائلاً المولى القدير أن يتقبل منه وأن يزيده من الهدى والتوفيق.

ثم الصلاة وتسليم يقارنها ... على الرسول الكريم الخاتم الرسلا
وآله الغر والصحب الكرام ومن ... إياهم في سبيل المكرمات تلا
وأسأل الله من أثواب رحمته ... ستراً جميلاً على الزلات مشتملا
وأن ييسر لي سعياً أكون به ... مستبشراً جذِلاً لا باسراً وجِلا

بمنه وكرمه ووالديّ ومشايخي وسائر المسلمين أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

صلاح بن محمد البدير
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف
والقاضي بالمحكمة العامة بالمدينة النبوية
١٤٢٩/٨/٣٠هـ

المقدمة

الحمد لله بارئ النسم، وخالق الخلق من عدم، أحمده على فضله الذي عم، وعلى الهداية لدينه الذي تم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن لا آلاء إلا آلاء الإله، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بعثه الله بين يدي الساعة هادياً ومبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد...

فإن الكتابة في تراجم العلماء وسيرهم، ومعرفة حالهم وتعلم خبرهم من الأمور المهمة؛ ذلك أن العلماء ورثة الأنبياء، ونور الظلماء، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »، وقال أبو حنيفة رحمه الله: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم »[1]، وقال بعض السلف: « القصص جنود الله » قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « يعني أن المعاند لا يقدر ردها»[2].

وإن من العلماء الفضلاء الذين أفنوا حياتهم في خدمة دينهم وأمتهم ووطنهم، فضيلة الشيخ الدكتور: عمر بن سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السُبَيِّل - إمام وخطيب المسجد الحرام- المولود سنة ألف وثلاثمائة وسبع

---

(١) « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » للسخاوي (٦١).

(٢) «مختصر سيرة الرسول» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣).

وسبعين للهجرة، والمتوفى سنة ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة، غفر الله له ورحمه، وقدس الله روحه، ونور ضريحه.

حيث كان رحمه الله يحمل من الصفات العظيمة، والشمائل الكريمة، ما قل أن تراه بين ظهراني الناس اليوم، ولا غرو؛ فهو جذوة من قبس أبيه المبارك:

هو الشيخ وابن الشيخ والشيخ جده فيا حبذا شيخ تناسل من شيخ

لقد فجعت الأمة الإسلامية في الأعوام السابقة، بأحداث متلاحقة، كان من أشدها وطئاً عليها: فقد كوكبة من العلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، الذين كانوا بدوراً في الليالي الحوالك، ونوراً يدل لأقوم المسالك:

إن الرزيَّة لا رزيَّة مثلها فقدانُ شيخ مثل ضوء الكوكب

***

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد فذ يموت بموته خلق كثير

***

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

والصادق المصدوق ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

وقيل لسعيد بن جبير: « ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم»[1].

إذا غاب مُلاَّح السفينة وارتمت ... بها الريح يوماً دبرتها الضفادعُ

وإني في هذا البحث المتواضع لأترجم لشيخنا عمر السبيِّل رحمه الله بذكر حياته المباركة، وسيرته العطرة، علَّ ذلك أن يكون من الوفاء لذلك الشيخ الجليل.

أخي القارئ الكريم: كنت أود أن أقدم بمقدمة فضفاضة الرداء، واسعة الأرجاء، حول فضل العلم والعلماء، وما ذكر في موتهم من أخبار وآثار، مع الإشارة إلى أهمية فن التأريخ والتراجم، إلا أن ذلك قد يُسمن الكتاب، ومظان هذه المسائل لا تخفى على ذوي الألباب.

رحم الله الشيخ عمر رحمة واسعة، وأنار قبره بأنواره الساطعة، فلقد كان ريحانة الحرم، ولم يفتئ رحمه الله من توجيهنا وإرشادنا.. فقد لقيته مرات عديدة.. واستفدت من فقهه ودروسه..

فلله ما أحلى تلك الأيام وما أزكاها؟!.. وما أطيب شذاها وما أنداها؟!.. ساعات ليتها كانت أياماً.. وأيام ليتها كانت أعواماً..

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٢٦).

إذا تـذكرت أيامـاً بكـم سـلفت أقــول بــالله يــا أيامنــا عــودي

***

صحبتكم فازددت نـوراً وبهجـة ومن يصحب الطيـب المعبَّـق يعبـقِ

***

نَمَّـــت عـــلى فـــضله شـــمائله ونفحـــة الـــورد سرهـــا علـــنُ

ولقد كنت بدأت في كتابة هذه الكلمات عـام ١٤٢٣هـ، وأنظـر فيهـا وأعـدل وأهـذب بـين الحـين والآخـر، مـع كثـرة الـشواغل والـصوارف والانشغال بالدراسة، فأنا في كتابتها بـين مـدٍّ وجـزر، وقـد هيـأ الله إتمامهـا وتعديلها عام ثمان وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة، وسميتها:

« الغيث المُجلِّل[1] في ترجمة الشيخ عمر السُّبَيِّل».

سائلاً الله أن لا يكون هذا الكتاب غيثـاً في سَـبِخَة[2]، ولا حـسناء عنـد عِنِّين، وأن يكون للمقصود وافيا، وللغليل شافيا.

وأن يجعله خالـصاً لوجهـه الكـريم، وأن ينفـع بـه المـترجَم والمـترجِم والقارئ، إنه سميع قريب مجيب.

---

(١) المجلل: جلل الشيء: عمَّ، وفي حديث الاستسقاء: (وابـلاً مجلـلا). انظـر: « المعجـم الوسـيط» (جلل).

(٢) السَبِخة: هي الأرض التي تعلوها بعض الملوحـة، ولا تكـاد تنبـت إلا بعـض الـشجر. انظـر: (سبخ) «لسان العرب».

سلام على عمر في الأولين، وسلام على عمر في الآخرين، وسلام على عمر يوم يلقى الله رب العالمين.(*)

ورقَمَهُ:

سلمان بن سابل المشعل

١٨/٤/١٤٢٨هـ

salman-almishal@hotmail.com

(*) انظر في ترجمة الشيخ عمر: ترجمة كتبها ابنه الشيخ أنس منشورة في آخر كتاب «من منبر الحرم المكي»، وكتب الشيخ د.عبد الملك السبيل ترجمة مختصرة للشيخ رحمه الله (مخطوط)، وانظر: «أئمة الحرم في العهد السعودي» لعبد الله الزهراني، « النسيم العليل من أقوال الشيخ الجليل»، « صور وعبر من حياة الشيخ عمر» (مخطوط) أصله محاضرة ألقاها: أحمد دباء العسيري، «صفحات مشرقة في حياة الشيخ عمر السبيل »د.مشعل المطيري (مخطوط)، «وسام الكرم» ليوسف الصبحي، « أوراق فقد » فريد الزامل السليم.

وقد اطلع معالي الوالد الشيخ محمد السُّبَيِّل على الكتاب ورضي عما فيه، وأجاز طباعته، وكذلك إخوان الشيخ عمر الكرام، ونجله الأكبر.

نبض الكتاب

سأظل أذكر جهدك المبذولا ... يا من غرست مبادئاً وأصولا
وأردد اسمك ما حييتُ كقدوة ... بك يحتذي جيلٌ ليرشد جيلا
ما كنت أنسى رائداً ومعلماً ... أفنى الشباب لكي ينير سبيلا
ما كنت أنسى راشداً متواضعاً ... شهماً جواداً طيباً بُهلولا[1]
سيظلُّ حُبُّك في القلوب على المدى ... غيثاً يُجلِّلُ بكرةً وأصيلا
تغدو به الأجيال من أبنائنا ... تشدو به عرضَ البلاد وطولا
سأظل أذكركم بكل صفاتكم ... فصفاتكم ذهبٌ غدا إكليلا
سأظل أذكر صوتك الجياش في الـ ... بيت الحرام مرتلاً ترتيلا
يا ربِّ أسكنه الجنان منعَّماً ... وأنله في أعلى الجنان مقيلا
عذراً أيا قاريهِ ليس تملُّقاً ... هذا الكتاب ولم يكن تدجيلا
فلَشَيْخُنا من خير من عاشرتُهم ... ما كنت يوماً بالرجال جهولا

المؤلِّف

---

(١) البُهلول: السيِّد الجامع لكل خير. القاموس المحيط (بهل).

الفصل الأول

الشيخ عمر منذ الصغر

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: ولادته.
- المبحث الثالث: نشأته وبيئته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه

هو «العالم الشاب الحافظ الفقيه الإمام»[١]: أبو أنس عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سُبَيِّل.

ولقب «السُّبَيِّل» لم يلحق الأسرة إلا في عنيزة، وإلا فهم من أسرة آل عثمان ثم من فخذ آل غيهب من قبيلة بني زيد القبيلة القضاعية القحطانية المشهورة.

قَدِمَ جدُّ جدِّه (عبد العزيز) من شقراء إلى عنيزة فَوُلِدَ ابنه محمد بن عبد العزيز في عنيزة، فَقُتِل في الحرب التي دارت بين عبد الله الفيصل بن تركي وبين أهل عنيزة، فانتقل جد الشيخ عمر من عنيزة إلى البكيرية واستوطنها[٢]، ولقب السُّبَيِّل أطلق على جده عبد العزيز الذي اشتهر عنه قوله: (يدي هذه سبيل للمحتاجين).

وآل السُّبَيِّل اشتهرت عنهم المكارم والفضائل ودماثة الأخلاق، وحب العلم والخير، وذلك ليس بخاف على كل من عرفهم وخالطهم،

---

(١) وصفه بذلك الشيخ صالح بن حميد. انظر مقاله في الفصل السابع من الكتاب.

(٢) انظر: « علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام» (٣/ ٤٦٧). و«جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» للشيخ حمد الجاسر (١/ ٣٢٥).

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ٣٤).

شـــم الأنـــوف كـريمـــة أحـسابهـــم
بـــيض الوجـــــوه مـــن الطـــــراز الأولِ

***

حُـشد عـلى الحـق عـن قـول الخنـا خـرُسٌ
وإن ألمـــت بهـــم مـــكروهة صبـــروا

المبحث الثاني
ولادته

هناك.. وفي تراب تلك المدينة العامرة في أرض القصيم، وفي عام سبعة وسبعين بعد الثلاثمائة والألف.. وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك.. فتحت محافظة البكيرية ذراعيها لتستقبل مولوداً جديداً وُلد على أرضها.. ألا وهو الشيخ عمر السبيل.. فكان لمثلها شرفا وفخراً.. أن يطأ ثراها عظماء الرجال..

ومدينة البكيرية ذات بيئة طيبة أخرجت علماء وطلبة علم أفاضل، قال الشيخ محمد العبودي ـ حفظه الله ـ «في معجم بلدان القصيم»: «البكيرية، بإسكان الباء بعد (ال) فكاف مفتوحة فياء ساكنة فراء مكسورة فياء مشدودة فتاء مربوطة آخره...، مدينة هي إحدى المدن الرئيسية في منطقة القصيم..، وهي لشخص اسمه محمد البكيري كان يملكها فباعها ولم يبق أحد من أسرته في البكيرية، وكان قد ابتدأ عمارتها ثم باعها في القرن الثاني عشر...» وقال أيضا: «وتحيط البساتين وحدائق النخيل بمدينة البكيرية من الشرق إلى الغرب مرورا من الشمال، وتشتهر بجودة تَمْرها وكثرته»، وقال ـ وفقه الله ـ: «ومما تجدر ملاحظته أن البكيرية قد أخرجت علماء أجلاء، بل كانت ولا تزال فيها أسر علمية، مثل: الخزيم، والسبيل، والخليفي، والمقوشي، والسديس، والراجحي، واللحيدان»[1].

---

(١) انظر: «معجم بلدان القصيم» (٢/ ٦٢٠- ٦٢٣).

المبحث الثالث

نشأته وبيئته

لا شك أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تؤثر على حياته وصفاته وانطباعاته.

أما الشيخ عمر رحمه الله «فقد كان إيوان المسجد الحرام، وصحنه، ورواقه، معاهدَ علمه، ومجالس ذكره، تنقل بين حلقاتها في مراحل تعليمه الأولى، وسِني صباه الباكر، وعبر مدارج الشباب في هذا النقاء، وأجواء الطهر تلك»[1].

وهو من بيت علمٍ أصيل.. كيف لا؟! وأبوه الشيخ محمد السُّبَيِّل.. مدرسة يتعلم منها الأجيال.. ويقتدي بها عظماء الرجال..

وقد انتقل إلى مكة المكرمة مع والده عند تعيينه إماماً وخطيباً للمسجد الحرام عام ١٣٨٥هـ.

«ولما كان عمر السبيل طفلاً لم يلتحق بالمدرسة، كان يحفظ القرآن على يد والده، وكان ملازما له، حتى إنه لم يكن كثير الخروج من المنزل الذي كان يقطن فيه بشارع الجزائر، حيث كان يسكن والده وأسرته، ولقد كان الشيخ محمد السبيل - أطال الله عمره - يحدث بالمسجد بالحي بعض الطلاب والشيخ عمر وهو صغير ملازم له»[2].

---

(١) من مقال الدكتور عبدالوهاب الطريري، انظر: الفصل السابع من الكتاب.

(٢) من مقال للأستاذ عبيد الله الحازمي، انظر: الفصل السابع.

قال معالي الشيخ صالح بن حميد ـ حفظه الله ورعاه ـ: «عرف الشيخ رحمه الله منذ الصغر بالصلاح، وحب العلم، وحسن العبادة، والمداومة عليها، والبعد عن المظاهر»[١].

ولقد نشأ رحمه الله في بيئة علمية معروفة، فعمه هو الشيخ عبد العزيز السبيل، العالم المعروف، قاضي البكيرية، والمدرس بالمسجد الحرام، ووالده كذلك، الرجل الحصيف، الإمام، فقيه مكة.

والابن ينشا على ما كان والده

إن العروق عليها تنبت الشجر

ودونك ـ أخي القارئ الكريم ـ ترجمة موجزة لكل من: جد المترجَم له الشيخ عبد الله السُّبيِّل ووالده معالي الشيخ محمد السُّبَيِّل، وعمه فضيلة الشيخ عبد العزيز السُّبَيِّل، وعمه الشيخ محمد السُّبَيِّل ـ وهو أخ أكبر للشيخ محمد ولكنه توفي قبل ولادة معالي الشيخ محمد - حفظه الله - بسنوات، وسُمي على اسمه -:

١ـ الشيخ عبد الله بن محمد السُّبيِّل[٢]:

- **ولادته:** ولد رحمه الله في عام ١٢٧٥هـ في محافظة عنيزة.
- **نشأته:** توفي والداه وهو لم يبلغ سن الخامسة، فكفله جده

---

(١) من مقال الشيخ ابن حميد، انظر: الفصل السابع.

(٢) أعدَّ هذه الترجمة الشيخ عبدالمجيد بن محمد السبيل - وفقه الله - (مخطوطة)، وهي مُطوَّلة، وهنا نقلت منها باختصار.

عبدالعزيز، ثم انتقل مع عمه سليمان من عنيزة إلى البكيرية عام ١٢٨٠هـ، فكانت موطنه، وفيها كانت نشأته وحياته.

- **طلبه للعلم وشيوخه:**

بدأ طلب العلم في البكيرية حيث حفظ فيها القرآن الكريم كاملاً، وقرأ التوحيد والحديث والفقه والنحو على عدد من المشايخ من أشهرهم الشيخ صعب بن عبد الله التويجري، إمام الجامع في البيكرية، المتوفى سنة١٣٣٩هـ، كما قرأ على الشيخ رميح بن سليمان الرميح العجمي قاضي البكيرية وإمام الجامع فيها المتوفى سنة ١٣٤٤هـ، وكان وثيق الصلة به، واستشاره وعمره في حدود السابعة عشرة أن يرحل إلى بلاد الشام؛ ليستزيد من العلم، فثناه عن ذلك، وأشار عليه أن يرحل إلى الرياض، وقال له: إن فيها من قرابتك وأهل بلدك من تأنس بهم، ومن يعينك على طلب العلم، فأخذ برأيه، ورحل إلى الرياض، وبقي فيها قرابة خمس سنين تلقى فيها العلم عن عدد من المشايخ من أشهرهم: سماحة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، عالم نجد ومفتيها، والمقدم فيها، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.

كما قرأ على الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب قاضي الخرج، صاحب الخطب المنبرية المشهورة، والتي كان يخطب بها كثير من أئمة المساجد في نجد، المتوفى سنة ١٣١٧هـ، وغيرهم من المشايخ والعلماء.

وكان من زملائه في الطلب الشيخ فوزان بن سابق بن فوزان الدوسري، القائم بأعمال المفوضية السعودية بالقاهرة، المولود في القصيم

سنة ١٢٧٥هـ، والمتوفى بالقاهرة سنة١٣٧٣هـ.

وفي الرياض قرأ القرآن مجوداً، ثم لما عاد إلى بلده تولى إمامة مسجد العُبيد منذ تأسيسه، واستمر فيه سنوات عديدة، ثم انتقل إماماً لمسجد التركي في البكيرية أيضاً.

- **صفاته وأخلاقه:**

كان رحمه الله رجلاً صالحاً ورعاً، كثير التلاوة لكتاب الله، ومشتغلاً بالعلم وتحصيله معرضاً عن الخوض فيما لا يعنيه، محباً للخير، باذلاً له، محسناً للفقراء والمساكين، يقوم ليله، ويأكل من كسب يده.

- **وفاته:**

توفي رحمه الله في البكيرية عام ١٣٧٣هـ تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته.

٢- معالي الشيخ محمد بن عبد الله السُّبَيِّل - حفظه الله ورعاه -[1]:

- **ولادته:** وُلد - حفظه الله - بمدينة البكيرية عام ١٣٤٥هـ بمنطقة القصيم.
- **طلبه للعلم:** حفظ القرآن الكريم على والده، وعلى الشيخ عبد

---

(١) كتب هذه الترجمة الشيخ عمر السبيل رحمه الله، وهي منشورة في كتاب: «قبسات من خطب الحرمين» (١/ ٦-٧)، مع بعض الإضافات.

الرحمن الكريديس، كما قرأه في مكة على العلامة السلفي الشيخ سعدي ياسين اللبناني عضو رابطة العالم الإسلامي ولديه منه إجازة في القراءة.

درس العلوم الشرعية والعربية على الطريقة التقليدية في الحلقات العلمية في المساجد على علماء بلده، ومنهم قاضي البكيرية الشيخ محمد بن مقبل، وشقيقه الشيخ عبد العزيز السبيل، ثم انتقل إلى بريدة وأخذ العلم عن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد، كما قرأ في مكة المكرمة على المحدِّثَيْن الشيخ عبد الحق الهاشمي، والشيخ أبي سعيد عبد الله الهندي، ولديه منهما إجازة في علم الحديث.

- **أعماله:**

- درَّس في وزارة المعارف والمعاهد العلمية ما يقارب عشرين عاما.

- عُيِّن إماما وخطيبا في المسجد الحرام ورئيسا للمدرسين والمراقبين فيه عام ١٣٨٥هـ، ثم عين نائبا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٩٠هـ، واستمر في عمله بعد تشكيلها الجديد باسم: «الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي» حتى عيِّن رئيسا لها عام ١٤١١هـ، واستمر حتى عام ١٤٢١هـ حيث تمت الموافقة على طلبه بالإعفاء من منصبه.

- وهو عضو المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائه ولا يزال.

- وهو عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

- وهو أيضا عضو في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

- وكان يقوم بتدريس بعض العلوم الشرعية والعلوم العربية بالمسجد الحرام منذ أن عين إماماً فيه.

- قام بأكثر من مائة جولة دعوية وإرشادية شملت أكثر من خمسين دولة من دول العالم.

- شارك في عدة مؤتمرات في الداخل والخارج.

- رئيس لجنة أعلام الحرم المكي الشريف.

- **مؤلفاته: له من المؤلفات:**

- ديوان خطب بعنوان: «من منبر المسجد الحرام» في أربعة أجزاء.
- رسالة في حد السرقة.
- رسالة بعنوان: «الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية».
- رسالة بعنوان: «الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية».
- رسالة في حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية.
- رسالة في حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد.
- رسالة في حكم الخط المشير إلى الحجر الأسود في المطاف ومدى مشروعيته.
- رفيق الطريق في الحج والعمرة.
- دعوة المصطفى ﷺ.
- من هدي المصطفى ﷺ.

- فتاوى ورسائل مختارة (المجموعة الأولى).
- الإجازة بأسانيد الرواية.
- المختار من الأدعية والأذكار.
- ديوان شعر.

وكلها مطبوعة، متع الله به ومن عليه بالصحة والعافية والثبات.

٣- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السبيل رحمه الله[١]:

• **ولادته:** وُلِد رحمه الله في مدينة البكيرية، وذلك في أواخر عام ١٣٢١هـ.

• **طلبه للعلم:** عند بلوغه سن التمييز ألحقه والده بالكُتَّاب عند خاله الشيخ محمد بن علي المحمود، حيث تعلم على يديه المبادئ الأساسية في التعليم على الطريقة المعهودة آنذاك، وحفظ عليه وعلى والده القرآن الكريم عن ظهر قلب.

ثم شرع في تلقي العلوم الشرعية على عدد من علماء بلده، منهم:

١. الشيخ العلامة عبد الله بن سليمان البليهد، رئيس القضاة في الحجاز، وقد قرأ عليه حينما كان قاضيا في البكيرية.

---

(١) كتب الترجمة الشيخ عمر السبيل رحمه الله وهي منشورة في كتاب: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٤٦٧) والنقل هنا بتصرف واختصار، وانظر: «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٢٦٧)، «تتمة الأعلام» (١/ ٣٠١)، «من مشاهير الجزيرة العربية» (٧٧)، «علماء الحنابلة»(٤٩٦).

٢. الشيخ حمد بن سليمان البليهد، قاضي البكيرية بعد أخيه السابق ذكره.

٣. الشيخ محمد بن مقبل آل مقبل، قاضي البكيرية بعد الشيخ حمد البليهد.

٤. الشيخ العلامة محمد بن عثمان الشاوي، المدرس بالمعهد العلمي بمكة، وبالمسجد الحرام.

٥. الشيخ صالح بن عبد الله الشاوي، من مشايخ البكيرية المعروفين.

٦. العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وكان من كبار طلاب الشيخ السعدي ـ رحم الله الجميع ـ.

وكان من أهم محفوظاته بالإضافة إلى كتاب الله الكريم، كتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام، وزاد المستقنع، وملحة الإعراب.. كما كان يحفظ الكثير من درر الأدب، وعيون الشعر قديمه وحديثه.

• **أعماله ومناصبه:** جلس للتدريس في علمي النحو والفرائض عام ١٣٤٩هـ بعد إلحاح من شيخه الشيخ محمد بن مقبل قاضي البكيرية في وقته.

واستمر رحمه الله في تدريس هذين العلمين لمدة سنتين فقط.

ثم في عام ١٣٥١هـ صار يدرس كثيراً من العلوم في الشريعة، والعربية، والتاريخ، وغيرها.

فكان يجلس بعد الفجر للنحو، وفي الضحى إلى قرب الظهر في مختلف العلوم الشرعية، كالتوحيد والحديث والفقه.

ثم يجلس بعد صلاة الظهر إلى قرب صلاة العصر للتدريس في المطولات: كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي، والأمهات الست وشروحها، ومسند أحمد، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والبداية والنهاية لابن كثير، وبعد المغرب يخصصه لتدريس علم الفرائض.

واستمر رحمه الله هكذا في التدريس إلى عام ١٣٧٣هـ، ثم انتقل رحمه الله إلى مكة المكرمة سنة ١٣٨٦هـ، ودرس في معهد الحرم المكي واستمر فيه إلى عام ١٣٩٨هـ.

- عمل قاضيا للبكيرية سنة ١٣٦٠هـ، واستمر فيه إلى أن طلب الإعفاء منه سنة١٣٦٦هـ. ثم ألزم به سنة ١٣٦٨هـ، واستمر فيه إلى سنة ١٣٧٨هـ، وفي أثناء توليه قضاء البكيرية عُرِضَت عليه مناصب قضائية عليا، فاعتذر عنها.

- **طلابه: من أشهر طلابه:**

١. فضيلة الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي، رئيس محاكم أبها.
٢. فضيلة الشيخ عبد الرحمن الكريديس، من مشايخ البكيرية المعروفين.
٣. فضيلة الشيخ عبد الله الخليفي، إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله.
٤. شقيقه معالي الشيخ محمد السبيل ـ حفظه الله ـ.

٥. معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى ـ حفظه الله ـ.

٦. فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الأستاذ بكلية أصول الدين بالرياض ـ حفظه الله ـ.

٧. فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بالرياض ـ حفظه الله ـ.

٨. فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله العبود، رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً ـ حفظه الله ـ.

٩. فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله.

١٠. فضيلة الشيخ عمر بن محمد السبيل رحمه الله. وغيرهم كثير.

- **آثاره العلمية:**

صنف رحمه الله ثلاثة كتب، ولكنه لم يتمها، وهي:

١- شرح المنتقى للمجد ابن تيمية.

٢- كتاب الفقه الحنبلي، على طريقة السؤال والجواب، مع بيان الراجح من الروايات.

٣- مختصر في أصول الفقه على طريقة السؤال والجواب.

- **وفاته:** أصيب رحمه الله قبل وفاته بأربع سنين بجلطة يسيرة في المخ، أصيب معها بثقل في اللسان، ثم ازدادت معه هذه الجلطة حتى أفقدته القدرة على النطق، مع ضعف في الذاكرة والجسم، مما ألزمه الفراش عامين.

حتى توفاه الله ليلة السبت، الحادي والعشرين من شهر صفر من عام

اثني عشر وأربعمائة وألف من الهجرة، وصلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة.

ورثي رحمه الله بمراث عديدة، منها مرثية شقيقه معالي الشيخ محمد السبيل، ومما قال فيها:

تجري الأمور على ما خطه القدرُ ... وكل حي له من دهره غِيَرُ
تطوي الدهور وفي طياتها أمم ... كانت فبانت فلا عين ولا أثرُ
وما الحياة لحي دار ثوى ... كل امرئ لحمام الموت منتظرُ

إلى أن قال:

أما ترى العلم والإسلام قد فجعا ... بعالم عامل لله مؤتمرُ
لقد فجعنا بموت الحبر عالمنا ... عبد العزيز الذي قد ضمه المدرُ
يبكي عليه الورى تبكي مجالسه ... تبكي له حِلَق تتلى بها السورُ
تبكي مساجدها تبكي منابرها ... تبكي المحابر والأقلام والزُّبَرُ
وروضة من رياض العلم مزهرة ... فيها المواعظ والتذكير والنذرُ
لله من عالم بالفقه مضطلع ... كالبحر طاشت له من موجه درُرُ
وفي العقائد والتوحيد عالمها ... وفي الحديث إمام روضه نضِرُ
وفي المثاني يغوص في دقائقها ... مفسراً نافذاً فيها له بصرُ
كانت له قدم في النحو راسخة ... يغني اللبيب عن المغني كما سبروا
وفي المواريث كم من فتية نهلوا ... من بحره وكذا التاريخ والسيرُ

وهي قصيدة طويلة رائعة[1] رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) انظرها في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٤٨١-٤٨٣).

٣- الشيخ محمد بن عبد الله السبيل[١]:

- **ولادته:** وُلِد رحمه الله في بلدة البكيرية عام ١٣١٠هـ.
- **طلبه للعلم:** لما بلغ سن التمييز أدخله والده الكتَّاب عند الشيخ محمد بن علي المحمود، فتعلم على يديه مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ عليه وعلى والده القرآن الكريم عن ظهر قلب حفظا متقناً.

ثم أخذ في طلب العلم على مشايخ البكيرية، حيث قرأ على قاضي البكيرية في زمنه الشيخ عبد الله بن سليم، وعلى قاضيها بعده الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، وعلى أخيه الشيخ حمد بن بليهد، قاضي البكيرية بعد أخيه، فقرأ على هؤلاء العلماء العلوم الشرعية والعربية، حتى حصَّل تحصيلا علمياً طيباً.

كان رحمه الله معروفاً بحدة ذكائه وقوة حافظته، ومما يدل على قوة حافظته، ما حدث به شقيقه سماحة الشيخ محمد أنه اطلع على مصحفه الخاص، وقد كتب عليه أنه لما صلى بالجماعة صلاة التراويح والقيام لأول مرة، ختم بهم القرآن ثلاث مرات، ولم يغلط إلا في موضعين.

وكان خطه جميلاً جداً، وقد نسخ عدة كتب ورسائل، ومما نسخ القرآن الكريم، فإنه نسخه ثلاث مرات، لقلة النسخ في ذلك الوقت ولحسن خطه ونورانيته.

---

(١) انظر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٢٢٢).

أصيب رحمه الله بمرض في عام ١٣٣٦هـ ولم يمهله طويلاً، فتوفي إثره في هذا العام، في بلدة البكيرية عن ستة وعشرين عاما.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وفي سنة ١٣٤٥هـ لما ولد الشيخ محمد السبيل حفظه الله سمي على اسم أخيه رحمه الله.

وهكذا نشأ وترعرع الشيخ عمر في بيئة علمية سويَّة..

فحري بهذا الشاب أن يسلك طريقهم ويقتدي، ويسير على منهجهم ويهتدي، ويتعلم منهم ويحتذي.

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: طلبه للعلم.
- المبحث الثاني: أشياخه.
- المبحث الثالث: مؤهلاته العلمية.
- المبحث الرابع: مذهبه وفقهه.

المبحث الأول

طلبه للعلم

إن للعلمِ الشرعي شأناً عظيما، وفضلاً جسيما، وأثراً بالغا، وحاجةً ماسةً في حياة الأمم، بل نحن أحوج إليه من حاجتنا إلى الطعام والشراب.

وليس يخفى على كل ذي لب ما للعلم من فضيلة، فهو إكليل على الهامة، ونجاة يوم القيامة، ينقذ صاحبه من ظلمات الشك والريبة، ويخلصه من كل مصيبة، ويكفي في مدح حامليه قول رب العالمين ـ في كتابه المبين ـ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨)، قال ابن جماعة رحمه الله: «بدأ سبحانه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفاً وفضلا، وجلالةً ونبلا[١]». وقال ابن كثير رحمه الله: «هذه خصوصيةٌ عظيمة للعلماء في هذا المقام[٢]».

ولعلي أقف وقفة ـ أخي الكريم ـ مع شيء مقتبس من فضائل العلم:

خذها إليك درة من الدرر ... من آية أو من حديث وأثر

١- أن طلب العلم طريق إلى الجنة، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (٤١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢\٦٩٣).

إلى الجنة) (رواه مسلم وأبو داود والترمذي)[١].

٢- أن العلم ميراث الأنبياء، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (رواه أبو داود والترمذي)[٢].

٣- أن العلم يبقى ذخراً لصاحبه بعد وفاته، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) (رواه مسلم)[٣].

٤- أن العلم علامة خير أراده الله بعبده، فعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (متفق عليه)[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف، وزاد في آخره: (ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به) والمعنى صحيح؛ لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أُريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم[٥]». وقال الحافظ النووي رحمه الله: «فيه: فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه:

---

(١) مسلم (٦٨٥٣)، وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٤٦)، مع اختلاف في اللفظ.

(٢) أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢).

(٣) مسلم (٤٢٣٢).

(٤) البخاري (٧١) ومسلم (٢٣٨٩).

(٥) «فتح الباري» (١/ ٢١٧).

أنه قائد إلى تقوى الله تعالى[١]».

٥- أن الإنسان يتوصل بالعلم إلى أن يكون من الشهداء على الحق، لقول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)، وقد مرَّ قول ابن كثير وابن جماعة ـ رحمهما الله تعالى ـ.

٦- أن العلم مدعاة غبطة، بل لا غبطة أعظم من غبطة العلم والبذل في سبيل الله، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (أخرجه البخاري)[٢].

٧- أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله إلى قيام الساعة، قال ﷺ: (ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) (رواه البخاري)[٣].

قال الإمام أحمد ﷺ: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟!». وقال القاضي عياض ﷺ: «أراد الإمام أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[٤].

---

(١) «المنهاج» (٧/ ١٢٨).
(٢) البخاري (٧٣).
(٣) البخاري (٧١).
(٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٢١٧).

٨- أن الله يرفع درجات أهل العلم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

٩- أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وهم الأمراء والعلماء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: «هم الفقهاء والعلماء الذين يُعلمون الناس معالم دينهم[١]»، وقال ابن كثير رحمه الله: «والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء[٢]».

١٠- ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به[٣]).

---

(١) «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٥٥١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩٥٧).

(٣) البخاري (٧٩) ومسلم (٥٩٥٣).

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦)[١]، وهي غيض من فيض، ونزر من نهر، وقطر من بحر، من الفضائل المشهورة المذكورة للعلم، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السِّوار ما أحاط بالمعصم.

أسأل الله أن يجعلها تذكيرا للذاهل، وتنبيهاً للغافل، وتعليماً للجاهل، وأسأله ﷻ أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح[٢].

لقد بدأ الشيخُ عمر التعلم منذ صغره، فدرس السنة الأولى والثانية الابتدائية في مدينة بريدة، ثم انتقل مع أسرته إلى مكة المكرمة عندما عُين والده إماماً للمسجد الحرام، فأكمل دراسته الابتدائية في إحدى مدارس مكة المكرمة، ثم انتقل إلى الدراسة في المرحلة المتوسطة بمعهد الحرم المكي[٣]، ثم أكمل المرحلة الثانوية فيه، وأتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن

---

(١) جل الفضائل العشرة مستفادة من: «كتاب العلم» لابن عثيمين، و«الطريق إلى الفقه» للشتوي.

(٢) للاستزادة انظر في فضل العلم: «الجامع» للخطيب البغدادي، و«الجامع» لابن عبد البر، و«آداب الطلب» للشوكاني، و«الحث على طلب العلم» للعسكري، و«فضل علم السلف على علم الخلف» لابن رجب، و «مفتاح دار السعادة» لابن القيم، والجزء الأول من «المجموع» للنووي، و«العلم وفضله» للأمين الحاج. وغيرها كثير، أجزل الله للجميع الأجر الوفير، آمين.

(٣) قال عنه د. ناصر الزهراني: «هو معهد أخباره عجيبة، وطريقة التدريس به غريبة، أشهر من نار على علم، ويدرس طلابه في قلب الحرم، معهد عريق فلا غرو إن تغنيت بفضله ولا جرم، تأسس عام ١٣٨٤هـ، أسسه الملك فيصل بمشورة الشيخ العلامة عبد الله بن حميد ﷺ، ويتخرج الطالب من معهد الحرم وقد تأهل في علمي القرآن الكريم والتجويد، وفي الفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، والحديث ومصطلحه، والفرائض والسير والبلاغة واللغة العربية، والمتخرج من المعهد يكون مؤهلاً لدخول الجامعة» «إبهاج الحاج» (٢١٧). وقد افتتح مؤخراً القسم العالي في المعهد وهو ما يعادل الدبلوم، ويوجد للمعهد فرع في المسجد النبوي الشريف.

خمس عشرة سنة، وتخرج من معهد الأرقم بن أبي الأرقم لتحفيظ القرآن الكريم في المسجد الحرام.

وقد اهتم رحمه الله بالقرآن الكريم، وعرَضَه على بعض القراء الكبار، وأخذ فيه إجازات، سنذكرها في موضعها.

وكان رحمه الله يذكر أنه وجد في نفسه رغبة أكيدة في طلب العلم منذ الصغر، فكان يكثر من القراءة والمطالعة، لاسيما في كتب ابن القيم رحمه الله، وقرأ كتابه (مدارج السالكين) في المرحلة المتوسطة.

ثم بعد تخرجه من المرحلة الثانوية بمعهد الحرم المكي انتقل إلى الرياض؛ ليلتحق بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[1]، ولسان حاله:

تغرب ولا تحفل بفرقة موطن
تفز بالمنى في كل ما شئت من حاج
فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقاً
ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج!

---

(١) «افتتحت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٧٣هـ ابتداءً بكلية الشريعة، ثم تلتها في عام ١٣٧٤هـ كلية اللغة العربية، وفي عام ١٣٨٥هـ افتتح المعهد العالي للقضاء، وانطوت كلها تحت اسم: «الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية»، وفي عام ١٣٩٥هـ بدأ افتتاح أقسام الدراسات العليا في كليات الجامعة، وفي عام ١٤٠٢هـ رأت الحكومة الرشيدة إقامة مدينة جامعية تضم وحداتها وكلياتها المتناثرة في الأنحاء المختلفة من الرياض، وكان من أبرز أهداف هذه الجامعة إعداد علماء متخصصين في العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية والتاريخية، وإعداد المعلمين في الحقول، وإعداد دعاة وقضاة مؤهلين، وما زالت الجامعة تقوم بدورها في إخراج الدعاة، والحمد لله». انظر: «موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية» (٣/ ٢٧٩) بتصرف.

وكان من هدي السلف الصالح رحمهم الله الرحلة في طلب العلم الشرعي، ومواقفهم فيها كثيرة[١].

«وكان شأنه في الرياض شأنه في الحرم، الصلة الوثقى بالعلم وأهله، والتنقل بين حِلَقه، يغدو في بكور الصباح إلى حلقة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ويروح في المساء إلى حلقة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله، وفيما بين ذلك هو الطالب المنتظم المثابر في دراسته الجامعية[٢]».

ثم تخرج من كلية الشريعة بدرجة البكالوريوس عام ١٤٠٢هـ، واختير معيداً في الكلية في تلك السنة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة سنة ١٤٠٣هـ، وعمل معيداً في كلية الشريعة في جامعة أم القرى، وحصل على درجة الماجستير عام ١٤٠٦هـ، في أطروحته الموسومة بـ: «أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي».

ثم في سنة ١٤١٢هـ حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها، في أطروحته الموسومة بـ: «تحقيق ودراسة كتاب إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل»، للإمام عبدالرحيم بن عبد الله الزريراني الحنبلي (ت:٧٤١).

وقد بذل رحمه الله جهداً كبيرا في إخراج هذا الكتاب النفيس، قال في مقدمته (١/ ص جـ): «ولما بدأت التحقيق واجهتني بعض الصعوبات

---

(١) انظر عن الرحلة: «الجامع» للخطيب، (٢/ ٢٢٦)، و«الجامع» لابن عبد البر (١/ ٣٨٨)، و«صفحات من صبر العلماء» لأبي غدة (٣٣).

(٢) من مقال للشيخ الطريري، انظر الفصل السابع.

التي كادت أن تثنيني عن المضي في إتمامه، ومواصلة العمل على تحقيقه، إلا أن الله تعالى أعانني على ذلك ويسّر، ومنحني العزم على الاستمرار فيه، حتى تم تحقيق الكتاب بفضل الله وتوفيقه».

وقد قام رحمه الله برحلات عديدة من أجل إخراج هذا الكتاب، والبحث عن نُسَخه، قال رحمه الله (١/ ١٢٦): «ومن أجل ذلك، فقد قمت بالبحث عن ذلك بسؤال أهل الخبرة وذوي الاختصاص في هذا المجال، وبالاطلاع على فهارس المخطوطات في العالم المتوفرة في مكة المكرمة، ثم القيام برحلات من أجل البحث عن نسخ الكتاب في داخل المملكة وخارجها، شملت المدن التالية: المدينة المنورة، والرياض، ومنطقة القصيم، والقاهرة، والإسكندرية، ودمشق، وقطر، فبحثت في مكتبات هذه المدن، وفي ما احتوته من فهارس مخطوطات العالم، وسألت من ألتقي به من ذوي الاختصاص والخبرة».

المبحث الثاني

أشياخه

الأصل في العلم أن يكون بالمثافنة[١] عن الأشياخ، وهذا يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم[٢].

للشيخ رحمه الله مشايخ كُثر، بعضهم درس عليهم في معهد الحرم المكي، وبعضهم في جامعة الإمام محمد بن سعود، وبعضهم في جامعة أم القرى، وبعضهم في حِلَق المساجد، وغيرها.

ودونك[٣] ـ أخي القارئ ـ أسماء شيوخه:

١. والده سماحة الشيخ محمد السبيل ـ حفظه الله ـ، أخذ عنه علوماً مختلفة، ولديه منه إجازة حديثية.

٢. عمه فضيلة الشيخ عبد العزيز السبيل رحمه الله، أخذ عنه الفقه والفرائض.

---

(١) ثافنَ الرجلَ: لازمه حتى عرف باطن أمره، انظر: (المعجم الوسيط (ثفن)).

(٢) انظر: حلية طالب العلم، للشيخ بكر أبو زيد (٣١).

(٣) فائدة: قال شيخنا الدكتور عمر السبيل رحمه الله: «التعبير بلفظ (دونك) هو الصحيح لغة؛ لأنه بمعنى (خذ) وهو الشائع عند العلماء قديماً وحديثاً، ومن المصنفين المكثرين من ذلك في مصنفاتهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (أضواء البيان)، أما ما عليه كثير من المعاصرين من التعبير بلفظ (إليك) فهو خطأ شائع؛ لأن معنى (إليك) تنح وابتعد وهو غير مراد، فتنبه». «حكم الطهارة لمس القرآن الكريم» (١٢ ط.٢).

٣. سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله - رئيس المجلس الأعلى للقضاء في وقته -، كان يحضر دروسه بعد صلاة المغرب بالرياض.

٤. سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله - المفتي العام للمملكة العربية السعودية سابقاً -، كان يحضر دروسه بعد صلاة الفجر بالرياض.

وممن درس عليهم في كلية الشريعة بالرياض:

٥. سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - حفظه الله - المفتي العام للمملكة العربية السعودية.

٦. فضيلة الشيخ عبد الله بن غديان - حفظه الله - عضو هيئة كبار العلماء.

٧. فضيلة الشيخ صالح الأطرم رحمه الله عضو هيئة كبار العلماء سابقاً.

٨. فضيلة الشيخ أحمد سير المباركي - حفظه الله - عضو هيئة كبار العلماء.

٩. فضيلة الشيخ عبد الله الركبان - حفظه الله - عضو هيئة كبار العلماء سابقاً.

ومن أبرز من درس عليهم في معهد الحرم المكي هؤلاء المشايخ الثلاثة:

١٠. فضيلة الشيخ يحيى بن عثمان المدرس - حفظه الله - المدرس بالمسجد الحرام ومعهد الحرم المكي.

١١. الشيخ أحمد الشنقيطي - حفظه الله - المدرس بمعهد الحرم المكي.

١٢. الشيخ عبد الله الحاج رحمه الله المدرس بمعهد الحرم المكي.

١٣. فضيلة الشيخ محمد أكبر شاه، وقد حفظ عليه القرآن الكريم، وحصل منه على إجازة في رواية حفص عن عاصم.

١٤. فضيلة الشيخ سعيد محمد العبد الله الحموي رحمه الله المدرس بجامعة أم القرى سابقاً، قرأ عليه القرآن قراءة تجويد وكان يتردد للقراءة عليه بعدة قراءات، مذكورة في المبحث الآتي.

١٥. فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الصومالي رحمه الله، وقد درس عليه في علم الحديث.

١٦. فضيلة الشيخ محمد صالح حبيب رحمه الله المدرس بالحرم المكي وقد أخذ عنه علم النحو.

١٧. فضيلة الشيخ عبد الفتاح راوه رحمه الله المدرس بالمسجد الحرام سابقاً، والفرضي المعروف بمكة المكرمة، وقد درس عليه علم الفرائض وحصل منه على إجازة فيه.

المبحث الثالث

مؤهلاته العلمية

سبق ذِكر الشهادات العلمية التي نالها الشيخ رحمه الله، وكان ممن ناقشه في رسالة الدكتوراه الدكتور سيد صالح عوض رحمه الله والذي أثنى كثيراً على البحث، وأشرف على الرسالة الدكتور أحمد طه ريان.

وقد نال درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف والتوصية بالطبع، وطبع الكتاب مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

أما بالنسبة للإجازات الحديثية والمرويات التي يرويها الشيخ، فهي كالتالي:

١. إجازة عن فضيلة والده، في القرآن وفي الحديث وفي سند المد النبوي، والشيخ محمد ـ متع الله به ـ يروي أسانيده عن اثنين من علماء المسجد الحرام:

أ- الشيخ عبد الحق هاشمي، المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث بمكة، أجازه في القرآن الكريم، والكتب الستة، وكتب السُنة، والتفاسير.. بالأسانيد المتصلة إلى أصحاب تلك الكتب.

ب- الشيخ أبو سعيد محمد عبد الله نور إلهي، المدرس بدار الحديث بمكة، أجازه في مروياته في الكتب الستة، بالأسانيد المتصلة إلى أصحابها.

٢. الشيخ محمد أكبر شاه، أجازه في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

٣. الشيخ سعيد محمد العبد الله الحموي رحمه الله، حصل منه على إجازة في القرآن الكريم بقراءة عاصم برواية شعبة، وبقراءة ابن كثير برواية البزي وقنبل، وبقراءة أبي جعفر برواية ابن وردان وابن جماز، وبقراءة الكسائي برواية الدوري وأبي الحارث وصل فيها إلى سورة الأنبياء، وما زال رحمه الله يتردد على الشيخ سعيد العبد الله يقرأ عليه القراءات المشهورة إلى قبيل وفاته.

٤. الشيخ محمد أمين الهرري - المدرس بدار الحديث بمكة -، أجازه في عدة كتب[1].

٥. الشيخ عبد الفتاح راوه المدرس بالمسجد الحرام، أجازه في علم الفرائض.

٦. الشيخ محمد أبو خبزة، أحد علماء القراءات.

---

(١) وكان ذلك في يوم الثلاثاء ٢١/ ٢/ ١٤٢٢هـ بعد صلاة الظهر. نقلا عن: «صور وعبر» (مخطوط)، ومرويات الشيخ الهرري مطبوعة في كتاب أسماه: «مجمع الأسانيد ومظفر المقاصيد من أسانيد كل الفنون».

المبحث الرابع

مذهبه وفقهه

«كان أمر الناس جارياً على السلامة والسداد، من الإسلام والسُّنة في صدر هذه الأمة، من عصر الصحابة إلى غاية القرون المشهود لها بالفضل والخيرية، الشريعة ظاهرة، والسنة قائمة، والبدعة مقموعة، والألسن عن الباطل مكفوفة، والعلماء عاملون، ولعلمهم ناشرون، والعامي يستفتي من يثق به وتطمئن إليه نفسه ممن لقيه من علماء المسلمين، لم يتخذوا من دون الله وليجة، ولا إماماً دون رسول الله ﷺ، ولا كتاباً غير كتاب الله، ولا سنة سوى سنة رسول الله ﷺ وهديه، مع كثرة فقهاء الصحابة، ومنهم الخلفاء الأربعة الراشدون، ومع وفرة علماء التابعين وتابعيهم، وتابعي تابعيهم، وفي العصر الواحد نحو خمسمائة عالم يصلح كل واحد منهم أن يكون إماماً يُتمذهب له، ويُقلَّد في قوله ورأيه، لكن يأبى الله ورسوله والمؤمنون أن يتخذ من شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل والخيرية إماماً دون رسول الله ينصبونه حاكماً على السنة والدليل، وينزلونه منزلة النبي المعصوم ﷺ، وكانت الحال جارية على السداد في أعقاب تلك القرون[1]»، ثم «اقتضت حكمة الله ـ سبحانه ـ أن ضَبط هذا الدين وحفظه: بأن نصب للناس أئمة مجتمعاً على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى - وهم الأئمة الأربعة المشهورون -.

---

(١) «المدخل المفصل» للشيخ بكر أبو زيد (١/ ٥٣).

فصار الناس كلهم يعولون في الفتوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم، وأقام الله من يضبط مذاهبهم ويحرر قواعدهم، حتى ضبط مذهب كل إمام منهم وأصوله، وقواعده وفصوله، حتى ترد إلى ذلك الأحكام، ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لطف الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين.

ولولا ذلك؛ لرأى الناس العجب العجاب، من كل أحمق متكلف معجب برأيه جريء على الناس وثاب، فيدَّعي هذا أنه إمام الأئمة، ويدعي هذا أنه هادي الأمة، وأنه هو الذي ينبغي الرجوع دون الناس إليه، والتعويل دون الخلق عليه.

ولكن بحمد الله ومنته انسد هذا الباب الذي خطره عظيم، وأمره جسيم، وانحسمت هذه المفاسد العظيمة، وكان ذلك من لطف الله ـ تعالى ـ بعباده، وجميل عوائده وعواطفه الحميمة[1]».

«فصار أهلُ السنة إلى هذه المذاهب الأربعة المشهورة، درساً وتدريساً، وقراءة وإقراءً، وكتابة وتأليفاً، وقضاء وفتيا وعلما وعملا، فصار لها من القبول والانتشار ما بلغ مبلغ الليل والنهار، وانصرف الناس إليها كالعنق الواحد، وآلَ جُلُّ الخليقة إلى قسمين اثنين:

---

(١) نقلاً عن رسالة: «الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة»، للحافظ ابن رجب، مطبوعة ضمن «مجموع رسائل ابن رجب» تحقيق: طلعت الحلواني (٢/ ٦٢٤).

القسم الأول: منتسبون إلى ذلك الإمام، اتخذوه مستدلاً، واقتنوا كتب مذهبه لمعرفة استدلاله، ثم عرضوها على الوحيين الشريفين، فما كان مؤيداً بالدليل أخذوا به، وما لا فلا[1]».

«زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل طاروا إليه زُرافات ووحدانا، وإذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إليه، ولا يسألونه على ما قال برهانا:

دليلهم في السُرى إن تاه غيرهمُ هدي من السنة الغرا وقرآنُ

نصوصه أجل في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليها قول أحد من الناس، أو يعارضوها برأي أو قياس[2]» مع ولاء تام لعلماء الإسلام:

فكلهم من رسول الله ملتمس رشفاً من البحر أو غرفاً من الدِيَم

مع الدعوة للوفاق، ونبذ أسباب الشقاق.

فلله در هذا الصنف ما أعزه عبر مرور الأزمان، وما أقله في مختلف الأصقاع والبلدان، والله المستعان وعليه التكلان.

القسم الثاني: «متعصبون لذلك الإمام، أخلدوا إلى حضيض التقليد، ولم يدروا ما يبدئ الفقه وما يعيد، هجروا القرآن والسنة والقدوة

---

(١) «المدخل المفصل» (١/ ٥٤).

(٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٩).

بصاحب هذه الرسالة ﷺ، ونصبوا إمامهم غير المعصوم محل النبي المعصوم، جعلوا المتن في المذهب لهم قرآنا، وشروحه لهم سنة وتبيانا[١]»، «﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٢)، تقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً، وكُلٌّ إلى ربهم راجعون، وجعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، تالله إنها فتنة عمَّت فأعمت، ورمت القلوب فَأَصْمَت، ربا عليها الصغير، وهرم فيها الكبير، واتخذ لأجلها القرآن مهجوراً، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطوراً، ولما عمت بها البلية، وكبرت بسببها الرزية، بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها، ولا يعدون العلم إلا إياها، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون، مؤثره على ما سواه عندهم مغبون، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل، وبغوا له الغوائل، ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد، وقالوا لإخوانهم: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦)[٢]».

«حتى بلغ الحال إلى أن الحنفي المتعصب لا يصلي خلف الشافعي، ولا يزوجه، وأنه بمنزلة الذمي[٣]».

---

(١) «المدخل المفصل» (١/ ٥٥).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٩-١٢).

(٣) «المدخل المفصل» (١/ ٥٥).

ولعلي أذكر - أيها القارئ الكريم - وعلى عُجالة - نماذج من التعصب المذهبي المذموم، التي وقعت في بعض عصور الإسلام - بقصد التحذير من هذا الداء العضال:

❖ قال أبو الحسن الكرخي - من الحنفية -: «كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مُؤَوَّلة أو منسوخة، وكل حديث فهو كذلك مؤول أو منسوخ».

❖ وقال بعض الحنفية:

فلعنة ربنا أعداد رمل ... على من رد قول أبي حنيفة

❖ وقال قاضي دمشق محمد بن موسى الباساغوني الحنفي: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية[1]».

❖ وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي الشافعي المتعصب:

ومن شعب الإيمان حب ابن شافع

وفرض أكيد حبه لا تطوعُ

وإني حياتي شافعي فإن أمت

فتوصيتي بعدي بأن يتشفعوا[2]

❖ وقال الربيع: «رأيت أشهب بن عبد العزيز ساجداً يقول في

---

(١) نقلا عن «المدخل المفصل» (١/ ٥٥).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٧٣).

سجوده: اللهم أمت الشافعي لا يذهب علم مالك، فبلغ الشافعي فقال:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت

فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى

تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

وقد علموا لو ينفع العلم عندهم

لئن متُّ ما الداعي علي بمخلدِ[1]»

❖ وقال الصاوي المصري المالكي في حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤). قال: «ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابي والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك إلى الكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر[2]».

وآل الحال في التعصب المذهبي إلى وضع الحديث على النبي ﷺ هوى

---

(١) «السير» (١٠/ ٧٢).

(٢) انظر: «حاشية الصاوي على تفسير الجلالين» (٤/ ١٥)، ورد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان» (٧/ ٤٣٧-٤٦٣) على هذا القول الشنيع.

وتشفياً، فهذا حنفي متعصب ائتفك حديثا ونسب إلى النبي ﷺ أنه قال: (يكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمتي[1]).

فهذه صور متتابعة من التعصب المذهبي المقيت لدى كثير من المنتسبين للمذاهب الأربعة، ويعلم الله أن الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ بريئون من مثل هذا، وإنما دعوتهم للتمسك بالقرآن والسنة، والاهتداء بهديهما، ونبذ ما يخالفهما.

والأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد كلهم مجتهد، وعلى الدليل مُستَنِد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، فقد قال النبي ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) (متفق عليه)[2].

قال العمريطي في نظمه للورقات:

ومن أصاب في الفروع يُعطى
أجرين واجعل نصفه من أخطا
لما رووا عن النبي الهادي
في ذاك من تقسيم الاجتهاد

---

(١) «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (٤٤٨٧).

الإمام أحمد ومذهبه:

لقد كان الإمام أحمد رحمه الله قمة شماء في شتى العلوم، فقد «كان شديد العناية بالقرآن وفهمه وعلومه، كان يقول لأصحابه: قد ترك الناس فهم القرآن، على وجه الذم لهم[1]».

وأما علمه بالسنة رواية ودراية، فهو أمر قد اشتهر وذاع، ووقع عليه الوفاق والإجماع، وأوضح شاهد على ذلك: كتابه «المسند» الذي جمعه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث، واستغرق في جمعه أكثر من خمس عشرة سنة:

فيرحم الرحمن ذلك العلم ... الزاهد العابد قمة القمم
وفارس المعقول والمنقول ... المقتفي لسنة الرسولِ
ونشهد الله على محبته ... جمعنا الله معاً في جنته

انتشار مذهب الإمام أحمد في نجد:

من الملاحظ أن المذهب السائد في نجد الآن هو المذهب الحنبلي، ولذلك أسباب، قال الشيخ عبد الله البسام رحمه الله: «قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتحاد البلاد وتوحيد التعليم، كانت المذاهب الأربعة كلها موجودة في نجد، إلا أن المذهب المنتشر فيها هو المذهب الحنبلي، والغالب على أهل الخرج أنهم كانوا على مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي، ومن علمائهم راشد بن خنين العائذي نسباً الحنفي مذهباً،

---

(١) نقلا عن « الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة» ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٢/ ٦٢٩).

المعاصر والمعارض للشيخ محمد ودعوته، وقد أخبرني الشيخ راشد بن خنين ـ عصريّنا ـ الرئيس العام لمدارس البنات، أنه مكث مدة كاتباً لقاضي الخرج الشيخ عبد العزيز بن باز، وأن الوثائق والأحكام التي كانوا يجدونها كلها صادرة من قضاة أحناف أو شافعية، وأن علماء آل خنين السابقين كانوا أحنافاً،...، أما سبب انتشار المذهب الحنبلي في نجد، ووجود غيره فيها، فيرجع إلى أن طلبة العلم كانوا يسافرون إلى الإحساء وإلى العراق وإلى الشام ومصر والحجاز، ويتلقون علومهم هناك، ويتبعون مذاهب شيوخهم الذين يأخذون العلم عنهم، فمن درس في الأحساء أخذ مذهب الإمام مالك، ومذهب الإمام أبي حنيفة، ومن درس في العراق أخذ مذهب الإمام أبي حنيفة، ومن درس في مكة المكرمة أخذ مذهب الإمام الشافعي، ومن درس في الشام أخذ مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وبسبب كثرة اتصال نجد اقتصادياً في ذلك الزمن مع الشام، كانت الرحلات التجارية تصاحبها الرحلات العلمية، فتلقى عدد كبير من العلماء علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة في الشام كدمشق ونابلس، وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار، كالشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة، تلميذ مؤلف «الإنصاف» الشيخ علي بن سليمان المرداوي، وصاحب «جمع الجوامع» الشيخ يوسف بن عبد الهادي،... وغيرهم، فأمثال هؤلاء العلماء النجديين الكبار بلغوا في العلم مبلغاً كبيراً، وانتهت إليهم الرئاسة العلمية في بلدان نجد، وهم قد قلدوا المذهب الحنبلي، فأثروا في أهل بلادهم، فصار جمهور النجديين حنابلة[1]».

---

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ١٩-٢١).

الشيخ عمر السبيل وعنايته بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ[1]:

الشيخ عمر رحمه الله كان شديد العناية بالفقه، لاسيما المذهب الحنبلي، «فقد عرفه أهل العلم خبيراً بروايات المذهب، عالماً بالمشهور منه، مدركاً للراجح من أقواله، مع عناية تامة بالصناعة الحديثية، حيث لم يهمل هذا الجانب رحمه الله»[2].

فيُبينَ في خطبه تخريج الحديث الذي يورده، وفي دروسه يُبين درجته وأقوال المحققين من أهل العلم فيه من المتقدمين والمعاصرين، وقد تكونت لديه هذه الملكة الحديثية بفضل الله ثم بملازمة شيخه سماحة الشيخ ابن باز، والشيخ محمد بن عبد الله الصومالي ـ رحمهما الله ـ اللذَّيْن عُنيا بعلم الحديث.

كان رحمه الله واسع الاطلاع، يُبين أصول المذهب، وفروعه، وفروقه، ومفرداته، ورواياته، ومشهورها، ورجاله، قال عنه الشيخ محمد بن ناصر

---

(٢) قال ابن بدران رحمه الله: «لا يذهب بك الوهم إلى أن الذين اختاروا مذهب أحمد، وقدموه على غيره من الأئمة ـ وهم من كبار أصحابه ـ أنهم اختاروا تقليده على تقليد غيره في الفروع، فإن مثل هؤلاء يأبى ذلك مسلكهم في كتبهم ومصنفاتهم، بل المراد باختيار مذهبه، إنما هو السلوك على طريقة أصوله في استنباط الأحكام، وإن شئت قل: السلوك في طريق الاجتهاد مسلكه دون مسلك غيره،...، وأما التقليد في الفروع: فإنه يترفع عنه كل من له ذكاء وفطنة وقدرة على تأليف الدليل ومعرفته، وما التقليد إلا للضعفاء الجامدين، الذين لا يفرقون بين الغث والسمين» (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) (١١٠-١١١).

(٢) من مقال للشيخ فواز القايدي، انظر الفصل السابع.

العجمي: «فهو الفقيه المتمكن في مذهب الإمام أحمد بن حنبل العارف بكتبه ورجاله كما يعرف أحدنا أهل بلدته وأقربائه»، وقال عنه فضيلة الشيخ د.سعود بن إبراهيم الشريم:

الفقه في جنبيه مثل صيارفٍ يُنبيك عن حل به وحرام

لم يكن ﷺ ذا تعصب مذهبي، ولا مسلك تحزبي، بل الدليل مستنده، والنص الصحيح معتمده.

وكان ذا اهتمام شديد بترجيحات وأقوال ومؤلفات الشيخين ـ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحم الله الجميع -، فلهما في فقه الكتاب والسنة نصيب وافر، وحظ كبير.

وكانت له عناية ظاهرة بترجيحات شيوخه، والعلماء المعاصرين، كالمشايخ ابن باز، وابن حميد، وابن عثيمين، ووالده الشيخ محمد، وعمه الشيخ عبد العزيز، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية سابقاً -، وفتاوى هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، والمجامع الفقهية[1].

ومما يدل على غزارة علمه في الفقه، وملكته الفقهية، مؤلفاته

---

(١) قال شيخنا الدكتور عمر السبيل ﷺ في رسالته: (حكم الطهارة لمس القرآن الكريم) بعد ترجيحه للقول بعدم جواز مس القرآن بغير طهارة، قال: «حيث هو القول المختار المفتى به عند المحققين من علماء العصر وفقهائه» ثم قال في الحاشية: «حيث اختاره صاحب كتاب (إظهار الحق المبين) وقد فرغ من تأليفه بمكة سنة ١٣٥١هـ، وذكر أن علماء المذاهب الأربعة في زمنه أجمعوا على الإفتاء به ص١٩-٢٠، وكذا أفتى به سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية في زمنه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كما في مجموع الرسائل والفتاوى ٢/ ٧٧، وبه أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز كما في الفتاوى الصادرة عنها ٤/ ٧٢ وما بعدها، وغيرهم من علماء العصر». (ص ٢٨. ط٢).

وتحقيقاته، ككتاب: «إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل»، الذي حققه وأخرجه في رسالة الدكتوراه، ولم يكن هناك ثمة كتاب مطبوع في علم الفروق في مذهب الحنابلة، فكان في إخراج هذا الكتاب فائدة عظيمة. وقد زاد عليه رحمه الله واستدرك على المؤلف كثيراً من الفروق، حتى قال له مناقش الرسالة الشيخ الدكتور سيد صالح عوض رحمه الله: «ينبغي أن تجمع الفروق التي كتبتها وتسمى الفروق السُبَيليّة!!».

وكتاب «أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي»، الذي هو رسالة الماجستير، وكتاب: «البصمة الوراثية ومدى مشروعيتها في النسب والجناية»، وكتاب: «حكم الطهارة لمس القرآن الكريم وما يتعلق بذلك من أحكام، دراسة فقهية مقارنة»، وغيرها..

ودروسه في الفقه وفتاواه في المسجد الحرام التي تشهد له بذلك، وطلابه الذين نهلوا من فقهه الغزير ونقلوه عنه.

له ذهن يغوص ببحر علم ... فيأتي منه بالدر النظيم

معانيه الرياض لأجل هذا ... سرت ألفاظه مثل النسيم

الفصل الثالث

شمائله وأخلاقه

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: أخلاقه مع أشياخه.
- المبحث الثاني: أخلاقه مع زملائه.
- المبحث الثالث: أخلاقه مع طلابه.
- المبحث الرابع: أخلاقه مع عامة الناس.
- المبحث الخامس: دعوته إلى الله تعالى.

المبحث الأول

أخلاقه مع أشياخه

كان رحمه الله موقراً لأهل العلم محترماً لهم، يضع شيخه موضع الاحترام والإكرام، والإجلال والاتباع، يحسن السؤال ويحسن الاستماع، ينقاد لشيخه في أموره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، ما لم يظهر له مخالفة اجتهاده للدليل الصحيح.

يتواضع لمعلميه، فإن التواضع مع العالم رفعة، ولذلك يقال: إن الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء، فقال:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها[1]

وأخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومرتبته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وقال: «هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا[2]»، وقال طاووس رحمه الله: «من السُّنة أن يوقَّر العالم[3]».

وقد شهد للشيخ عمر مشايخه ومعاشروه على توقيره وتقديره الشديد لأهل العلم لاسيما شيوخه، قال فضيلة الشيخ يحيى بن عثمان المدرس - المدرس بالمسجد الحرام وبمعهد الحرم -: «إن الشيخ كان أديباً مجتهداً في طلب العلم، يحسن الاستماع، قليل الأسئلة إلا المهم منها، ولم يشتك منه أحد من زملائه».

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة (١٨٨).

(٢) «الجامع» لابن عبد البر (١/ ٥١٤)، و«الجامع» للخطيب (٣٠٧).

(٣) «الجامع» لابن عبد البر (١/ ٥١٩).

وقال فضيلة الشيخ سيد محمد الأنصاري ـ المدرس بمعهد الحرم المكي ـ: «كان طالب علم صاحب أدب، لا يكثر الكلام ولا الأسئلة[١]».

ويقول الشيخ د. محمد أيوب محمد يوسف - الإمام بالمسجد النبوي سابقاً والمدرس بالجامعة الإسلامية -: «وأذكر تماماً حين حفظ نصف القرآن وحصل على الجائزة (١٠٠٠ ريال)، وهو صغير السن استلم الجائزة وسلمها فوراً لشيخه محمد أكبر شاه، وأصر على ذلك بحجة أن المستحق الحقيقي لهذه الجائزة شيخه المذكور[٢]».

وكان الشيخ عمر رحمه الله ذات مرة في مجلس فيه اثنان من شيوخه الكبار، وكان أحد الشيوخ جالساً في جهة والآخر في جهة أخرى، وكانوا جالسين على مجالس مرتفعة، فدار حوار في مسألة، فقالوا: يا عمر، ائتنا بالكتاب الفلاني، فقام ليأتي بالكتاب فتحير أين يجلس، إن جلس هنا لم يتجه لهذا، وإن جلس هناك لم يتجه لذاك، فجلس الشيخ عمر على الأرض في الوسط، فتعجب الشيخان من أدبه وذكائه.

ومن جميل أدبه مع مشايخه أن شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ جاء لمكة ليناقش رسالة علمية في جامعة أم القرى، وكان لدى الشيخ عمر سفر ظهر ذلك اليوم، فذهب الشيخ عمر إلى مسكن سماحة الشيخ وأوصله إلى الجامعة حيث المناقشة ثم اعتذر منه ومضى لسفره.

وكان إذا وجهت إليه المسائل في بعض المجالس، وكان في المجلس أحد شيوخه أحال السؤال إليه ورفض الإجابة رحمه الله.

---

(١) نقلاً عن «صور وعبر من حياة الشيخ عمر» (٧-٨) (مخطوط).

(٢) نقلاً عن مقال للدكتور محمد أيوب، صحيفة المدينة بتاريخ ١٢/ ١/ ١٤٢٣هـ.

المبحث الثاني

أخلاقه مع زملائه

كان تعامله رحمه الله مع زملائه وإخوانه أحسن تعامل، فقد كان معهم عذباً قريباً حبيباً، سهلا ليناً هيناً، لطيف المعشر، دائم البشر، لا يضمر غير ما يظهر - فيما نحسبه -، كلامه أنيق النواحي، رقيق الحواشي، يتحدر على الأفهام تحدر الزُّلالِ على حَرِّ الأُوام[1]، ويدُب في الآذان دبيب الصحة في دنف الأسقام:

سمحاً قريباً حبيباً هيناً دمثاً

موطئاً هذبته الآي والسورُ

ألفاظه كعبير الزهر مفعمة

باللطف كالجدول الرقراق تنهمرُ

يقول زميله الشيخ د.عبد الوهاب الطريري: «كان عذباً في حديثه، عذباً في خُلُقه، عذباً في معشره، لطيف النفس، موطأ الأكناف، بعيداً كل البعد عن التكلف المقيت، والتواقر الثقيل، ولكنها العذوبة واللطافة وحسن الخلق وطيب الحديث، كنت أراه في الحلق كأشد ما أنت راء الطالب مهابة للشيخ وتوقيراً له وحرصاً على الطلب، وجداً في التحصيل، فإذا انقلب إلى أصحابه عادت إليه العذوبة والسماحة وذلك اللطف والبشر المعهود[2]».

---

(١) الأُوام: العطش. انظر: لسان العرب. (أوم).

(٢) من مقال للدكتور الطريري، انظر: الفصل السابع.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل) (رواه الترمذي)[١].

ويقول الشيخ الدكتور عبد الله الدميجي ـ عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى سابقاً ـ: «وفضيلة الشيخ عمر قد عرفته أخاً وزميلاً في الدراسة، ثم أستاذاً جامعياً، ثم إدارياً ومسؤولاً، وكان عمر الطالب هو عمر الأستاذ، هو عمر العميد لأعرق كلية في المملكة، هو عمر إمام وخطيب المسجد الحرام، لم تغيره الألقاب، ولم تؤثر فيه المناصب، وهذا هو ديدن العلماء[٢]».

ويقول معالي الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا ـ وكيل الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقاً، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ: «وقد زاملته في مجلس الكلية عندما كان رئيساً لقسم الشريعة، ثم مديراً لمركز الدراسات الإسلامية، ثم تشرفت بالعمل تحت إدارته يرحمه الله، عندما كان عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة، ورغم قصر تلك المدة الزمنية، فقد كان مثالاً في الإخلاص والرغبة في تطوير الأداء[٣]».

---

(١) الترمذي (٢٤٨٨).

(٢) من مقال الدكتور الدميجي، انظر: الفصل السابع من الكتاب.

(٣) من مقال الدكتور العقلا، انظر: الفصل السابع.

ويقول الشيخ عبد الرحمن محمد شفيع - إمام وخطيب جامع الحصان بمكة -: «وإن أنسى فلا أنسى أيام الإعدادي، حيث كنت وأخي (عمر) رحمه الله نسهر سوياً في ساحات الحرم المكي الشريف نذاكر الدروس أيام الاختبارات حتى الفجر، ثم نمضي مباشرة للاختبار، أيام وذكريات لا تنسى.. آه.. ما أحلاها[1]».

ويقول الأستاذ عبيد الله الحازمي ـ أحد معارفه ـ: «ولا أنسى موقفه ـ رحمة الله عليه ـ عندما كان يصلي على بعض الجنائز بالحرم وكنت ضمن الصف، التفت نحوي، وقال: عسى ما شر، قلت له: أنت صليت على الوالدة ـ رحمة الله عليها ـ، وقام معنا ولا زمنا حتى انتهينا من دفنها، وهو يدعو لوالدتي بالمغفرة والثواب والأجر ودخول الجنة، كان هذا الموقف الذي لا أنساه أبداً طوال حياتي من الشيخ عمر السبيل رحمه الله[2]».

ويقول الشيخ عبد العزيز بن مسفر العقيب: «كان رحمه الله زميلاً مثالياً في الدراسة والسكن الجامعي إبّان دراستنا في كلية الشريعة بالرياض، كان ينبوعاً من الشفقة والرفق والعطف، اتصف بدماثة الخلق ولين الطبع وصفاء النفس، فكان محبباً من جميع طلاب الكلية ومنسوبيها، فأصبح صديق الجميع.

---

(١) انظر مقال الأستاذ شفيع، الفصل السابع.

(٢) انظر: مقال الأستاذ الحازمي، الفصل السابع.

كنت أتذكر عندما كان رحمه الله يأخذ على عاتقه إيقاظ جميع الزملاء لأداء صلاة الفجر في السكن الجامعي بلطف ولين، يحظى باستجابة نشيطة لما له من تقدير واحترام لديهم[١]».

يقول الأخ أحمد العسيري - أحد طلاب الشيخ عمر -: «في يوم من الأيام طلب مني الشيخ رحمه الله تجهيز غرفته في المسجد الحرام؛ لاستقبال بعض أهل العلم، وبعد صلاة العصر في ذلك اليوم دخل الشيخ غرفته، وبدأ الناس يتوافدون على غرفة الشيخ، بعضهم من الرياض، وبعضهم من المدينة المنورة، وبعضهم من القصيم، وبعضهم من مكة المكرمة، ولما كان الشيخ جالساً في مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه، وكانت الغرفة قد امتلأت بأهل العلم، دخل معالي الشيخ صالح آل الشيخ - حينما كان نائباً لوزير الشؤون الإسلامية -، فقام الشيخ رحمه الله فأجلسه في المكان الذي يجلس فيه[٢]».

وهكذا كانت حاله رحمه الله مع طلبة العلم وأهله.. احترام.. وتوقير.. وتبجيل..

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يُتوِّج ربَّهُ بِخَلاقِ

ومما يبين اهتمامه بأهل العلم وتوقيرهم، أن الدكتور سيد صالح عوض[٣] كان يعاني من مرض من الأمراض، فكان الشيخ يتابع حالته،

---

(١) نقلاً عن مقال للعقيب، صحيفة الجزيرة بتاريخ ٣/ ١/ ١٤٢٣هـ.

(٢) صور وعبر.

(٣) الدكتور سيد صالح من أساتذة كلية الشريعة في جامعة أم القرى، وهو الذي ناقش الشيخ عمر في رسالة الدكتوراه - رحم الله الجميع -.

ويذهب لزيارته في المستشفى، وكان الشيخ حريصاً على متابعة حالته أولاً بأول، حتى توفي الدكتور سيد رحمه الله، وقد تأثر الشيخ بوفاته، بل إنه لما علِم بمرضه كان على أُهبة السفر لإحدى الدول، فأجّل السفر من أجل زيارة الشيخ والاطمئنان عليه، وكان الشيخ في مستشفى حراء بمكة، فزاره واطمأن عليه، وأوصى عليه مدير المستشفى، ثم قضى الله قضاءه وتوفي الشيخ سيد، فصلى عليه وشيعه وحضر دفنه، وصنع لأهله طعاماً تأسياً بسنة المصطفى ﷺ، فرحم الله الجميع[1].

وقال الدكتور شعبان إسماعيل - عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى -: «عرفت الشيخ الدكتور عمر السبيل من خلال عملي معه في كلية الشريعة، فلمست فيه صفات العالم العامل، الذي يجمع بين العلم الصحيح والعقيدة السلفية الصحيحة، وبين العمل التطبيقي الذي هو ثمرة هذا العلم، مع التحلي بالأخلاق الفاضلة والأدب الرفيع والتواضع الجم لإخوانه وزملائه ولطلبة العلم، فما من طالب له مصلحة تتعلق بالعلم أو بشؤونه الخاصة إلا ويجد لها حلاً عنده رحمه الله[2]».

ويقول الدكتور عبد المحسن الريس: «وقد عرفته حين انتقل لإتمام دراسته الجامعية بكلية الشريعة، فزاملته وصاحبته، فكان نعم الصاحب والزميل، جاداً مجتهداً في تلقيه العلم، صبوراً في تحصيله، حيث كان ملازماً

---

(١) حدثني بهذه القصة الشيخ عبد المجيد السبيل ـ وفقه الله ـ.

(٢) نقلاً عن «صور وعبر».

لدروس عدد من المشايخ خارج الكلية كالشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن غديان، وغيرهم.

وكان يحفظ كتاب الله، ويحفظ كثيراً من أشعار العرب وحكمهم وأمثالهم، كنت أجلس معه لمساجلة الشعر ومداورته، فتمضي الساعتان والثلاث ولما ننتهي[1]».

ومن جميل أدبه وجم تواضعه رحمه الله أنه وهو إمام للحرم، كان يخرج مع بعض زملائه وبعضهم يكبره في السن، فإذا حان وقت الصلاة لا يرضى بأن يتقدم عليهم ويصلي بهم.

وكان رحمه الله يسأل عن زملائه ويهنئهم في المناسبات، حتى أنه كان يتصل ببعض الدكاترة الذين استُقدِموا للتدريس في الجامعة بعد رجوعهم إلى بلدانهم.

---

(١) مجلة شباب، العدد (٣٩) (ص: ١٩).

ولعلي أختم هذا المبحث بهذه المراسلة بين الشيخ محمد نعمان الندوي ـ أحد شيوخ الهند ـ والشيخ عمر رحمه الله:

«فضيلة الأخ الكريم الشيخ : عمر بن محمد السبيل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد حملت الصحف الواردة من الرحاب الطاهرة نبأ اختياركم إماماً وخطيباً للحرم المكي الشريف، فهنيئاً لكم هذا الشرف العظيم، شرف الإمامة والخطابة في بيت الله الحرام.

لقد كان هذا الاختيار موفقا جداً ، فإن هذا الخلق الفاضل المثالي الكريم، والتضلع من العلم، والتفقه في الدين، وهذه الحياة الطيبة التي نشأت فيها في رحاب التقوى والصلاح.. كل ذلك كان جديراً بتأهيلكم لهذا المنصب الجليل الذي حظيتم به بحق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

يا أخي عمر! لا إخالك بحاجة إلى التعريف بشخصي المتواضع، فقد سمعنا منذ صبانا - وصدقت ذلك التجارب والشواهد - أن العربي لا ينسى أبداً أحداً لقيه مهما طال به الزمان، ودارت الأيام، أو بعدت الدار وشط المزار...!

فارجع قليلاً - يا أخي - إلى الماضي حينما شرف والدك الجليل حيدر آباد بزيارته الكريمة للمشاركة في الندوة العالمية للتعليم والدعوة التي

أقامتها الجامعة، وكنت مرافقاً لسماحة والدك في تلك الزيارة.

ففي تلك المناسبة التأريخية السارة تأسست العلاقة والصداقة والأخوة بيننا على تقوى من الله، وقد توسمت آنذاك، وتوسم معي كل من رآكم أو لقيكم في وجهكم النوراني الباش مخايل النبوغ والعظمة، وملامح العراقة والأصالة، وتنبأ الكثيرون فقالوا - وهم يشيرون إلى فضيلتكم -: إن هذا الشاب الصالح سيكون له شأن مثل والده! وهاهو الزمان يصدق ذلك!

فحياك الله يا عمر! يا سليل الأكرمين الغر الميامين، حياك الله متربعاً على عرش من الحب والمودة والإخلاص من جميع الذين يعرفونك، محاطاً برعاية الله، مباركا في أعمالك، موفقا بالنجاح في أداء مهامك الجليلة الجديدة في صحة وعافية.

وأخيراً - لا آخراً - لي منك رجاء خاص، وهو أن لا تنساني في دعواتك الخاصة في ظلال الكعبة المقدسة في أوقاتك الخاصة وسهراتك ونجواتك لربك الكريم!

أخوك المحب

محمد نعمان الدين الندوي»

وقد رد عليه الشيخ عمر برسالة أخوية قال فيها:

«فضيلة الأخ الكريم والأديب الأريب الشيخ: محمد نعمان الدين الندوي سلمه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد...

فأسأل الله ﷻ لكم دوام الصحة والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضاه.

أخي العزيز..

سعدت برسالتكم الكريمة، وسررت بها أيما سرور، لما لكم في نفسي من إجلال وتقدير يحملني دوماً على تذكركم، ويبعث في نفسي شوقاً إلى رسائلكم، وإلى اللقاء بكم، وأنا بين الفينة والأخرى أسأل نفسي عن هذا الصديق العزيز ذي الأخلاق الكريمة والشيم الحميدة، لم لا أحظى منه بلقاء عند زيارته البيت، ولو لدقائق محدودة، وأعتقد أن هذا أمر ميسر، فهو ممن لا يكاد ينقطع مجيئه إلى البلد الحرام، وإذا جاء فإنه ولا بد سيحرص أيما حرص على أداء الصلوات كلها أو غالبها في المسجد الحرام، فلم لا أحظى منه ولو بسلام على عجل؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى أسأل نفسي عن انقطاع رسائله عني.. أهو تقصير مني؟ وهذا وارد.. أم هو لشيء آخر علمه عند ربي؟ لذا جاءت رسالتكم الكريمة الرقيقة شافية بالإجابة عما يدور بخلدي من هذه الأسئلة، فحصل بها الاطمئنان على أحوالكم وأحوال جامعتكم الموقرة ومشايخكم الأجلاء، ولا سيما الاطمئنان على صحة شيخ الجميع العلامة الجليل الشيخ أبو الحسن الندوي مد الله في عمره، وأسبغ عليه لباس الصحة والعافية ومتع المسلمين ببقائه وعافيته.

أخي الكريم..

ومع ثقتي الكاملة بما تذكرون من مشاعر نبيلة نحو أخيكم، إلا أنني أرى أن ما ذكرتموه عني من صفات.. إنما تدل على ما تتمتعون به من نبل في الخلق، وسمو في المشاعر، وحسن ظن بمحبكم، وإلا فالذي أعتقده في نفسي يترجمه قول الشاعر:

والله لو علموا قبيح سريرتي ... لأبى السلام علي من يلقاني

ولأعرضوا عني وملوا صحبتي ... ولبؤت بعد كرامتي بهوان

وختاماً لكم أخي الكريم من الود أخلصه، ومن التحية أزكاها وأعطرها، وسلامي الكثير لشخصكم الكريم ولسائر المشائخ لديكم في الجامعة ولا سيما رئيس الجامعة الشيخ محمد عاقل الحسامي، ولا زلتم محفوظين بحفظ الله مشمولين بعنايته ورعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم

عمر بن محمد السبيل[1]»

---

(١) نقلاً عن مجلة الصحوة الإسلامية، الصادرة عن الجماعة الإسلامية، حيدر آباد، الهند العدد ٤٠ صدر في ربيع الأول ١٤٢٣هـ.

المبحث الثالث

أخلاقه مع طلابه

لا يخفى أنه ينبغي على العالم أن يتحلى بأحسن الآداب وأجمل الأخلاق مع طلابه، الذين حرصوا على النهل من علمه، والاستفادة منه، يقول ابن عباس ﷺ: «أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي، لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت»، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني[١]».

إن مما يمتدح به العالم ترغيبه طلابه في العلم وطلبه، وعنايته بمصالحهم، «ومعاملتهم بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليهم والإحسان إليهم، والصبر على جفاء ربما وقع منهم، ويؤدبهم بالآداب السنية، ويحرضهم على الأخلاق المرضية، ويوصيهم بالأمور الوفية على الأوضاع الشرعية[٢]».

قال الأصمعي: «إذا كان في العالم خصال أربع، وفي المتعلم خصال أربع، اتفق أمرها وتم، فإن نقصت من واحد منهما خصلة لم يتم أمرها، أما اللواتي في العالم: فالعقل والصبر والرفق والبذل، وأما اللواتي في المتعلم فالحرص والفراغ والحفظ والعقل[٣]».

---

(١) انظر: «تذكرة السامع والمتكلم» (١٤٠).

(٢) مقتبس من «تذكرة السامع والمتكلم» باختصار.

(٣) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع» (١/ ٣٤٣).

وكذلك كان أبو أنس ـ رحمنا الله وإياه ـ على أعلى المراتب من حسن المعاملة وطيب المعاشرة مع طلابه الذين أحبهم وأحبوه؛ لما أفاض عليهم من كبير عطفه وكرمه وحنوه ورفقه.

التقى الشيخ رحمه الله بأحد تلاميذه في مدينة ما فجأة، ففرح الشيخ فرحاً شديداً، وقال: «منذ أن جئت إلى هنا وأنا أتمنى لقاءك، والحمد لله على ذلك».

وذكر أحدهم موقفاً له فقال: «صليت مع الشيخ في مسجد الحي، وخرج الشيخ بعد الصلاة، ثم لحقت به حافي القدمين لبُعد حذائي عن مكان خروجه، فسلمت عليه، وقال: لا كلام حتى تأتي بحذائك، يقول الطالب: قلت: الحذاء بعيدة، والكلام لا يستغرق وقتاً طويلاً، قال: أبداً لا بد أن ترجع وتأتي بحذائك، يقول: فرجعت وأتيت بحذائي والشيخ واقف ينتظرني في الشمس».

وكان رحمه الله إذا رأى من أحد الطلبة المجدين تقصيراً أو كسلاً، استدعاه إلى مكتبه بالجامعة، وجلس معه ونصحه ووجهه لما فيه نفعه وصلاح أمره دون أن يشعر بقية الطلبة بذلك، بل كان الشيخ يسأله هل كان عنده مشاكل عائلية أو مالية أو نحوها؟.. فيحلها ويدخل السرور عليه[1].

وأذكر أني استنصحته في أحد الأيام، فأخذ رحمه الله ينصحني ويوجهني

---

(١) نقلاً عن: «صفحات مشرقة في حياة الشيخ عمر السبيل» إعداد/ د.مشعل بن غنيم المطيري، (٧٢-٧٤) بتصرف (مخطوط).

بأمور عدة، فقال: «احرص على الجد في الطلب، وعليك بحفظ المتون، فمن حفظ المتون حاز الفنون، وإياك وتضييع الوقت والجلوس في الحرم مع الذين يهدرون أوقاتهم في القيل والقال، وغيبة العلماء..»، فكانت نصيحة ذهبية استفدت منها كثيراً بحمد الله تعالى.

ومن مواقفه الجميلة التي كانت تتكرر بشكل شبه يومي: أن الشيخ رحمه الله عند خروجه من الجامعة يقابل عند البوابة بعض الطلبة الذين ليس لهم وسيلة للمواصلات، فكان يحملهم جميعاً في سيارته ويوصلهم بنفسه، وكان من بين أولئك الطلبة طالب وقف الشيخ عنده ذات مرة، وعرض عليه توصيله، فأخبره الطالب بمقر إقامته والذي يبعد عن مقر الشيخ نحو ٢٠ كيلو، فقال له الشيخ ـ مبتسماً ـ: «ما تحرمني من توصيلك.. اركب.. اركب..»، ولما أوصله الشيخ إلى حيث يسكن شكره الطالب ـ وهو على استحياء من الموقف ـ، فالتفت الشيخ وقال له ـ ممازحاً ـ: «كذا.. من غير حق التوصيل.. طيب اعزمنا يا أخي على الغداء..!!»[1] رحمه الله رحمة واسعة، وهذا كله مع تعب الشيخ ونصبه من أعمال الجامعة، واحتياجه لأخذ قسط من الراحة، لكي يذهب إلى المسجد الحرام ويؤم الناس في صلاة العصر، وقد يكون لديه في ذلك اليوم درس بعد العصر، فما أجمل التفاني من أجل الحق، وإعانة الخلق!!..

---

(١) مجلة شباب، العدد (٣٩)، (ص: ١٩).

وكان يحترم طلابه ويُقدرهم أيما تقدير، ويتحفهم بالكتب والهدايا، ويعمل وليمة لطلابه المتخرجين عند تخرجهم.

ويذكر طلاب الشيخ في الجامعة أنه كان يحرص على الحضور مبكراً في القاعات الدراسية، ويحرص على الانتهاء من المنهج الدراسي حتى لو أدى ذلك إلى إضافة بعض المحاضرات الإضافية؛ لتتحقق لهم الاستفادة من العلم[1].

(١) صحيفة عكاظ، تاريخ ٢/ ١/ ١٤٢٣هـ.

المبحث الرابع

أخلاقه مع عامة الناس

إن الأخلاق الرفيعة، والشمائل السامية لَمِن أهم سمات المسلم، لاسيما العلماء وطلبة العلم.

وقد ندب شرعنا الحنيف إلى معاملة الناس بالأخلاق الحسنة، قال النبي ﷺ: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (أخرجه الترمذي)[1].

وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً) (أخرجه الترمذي وأبو داود)[2].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) (أخرجه الترمذي)[3].

وغيرها من النصوص الحاضة على الالتزام بمعالي الأخلاق، ونبذ سفسافها.

لقد كان لأبي أنس رحمه الله القدح المُعلّى، والمقام المُجلّى، في دماثة أخلاقه، ونبل شمائله وصفاته، فقد سلب قلوب محبيه بكرمه وبشاشته وتواضعه وسلامة قلبه.

---

(١) الترمذي (٢٠١٨).

(٢) الترمذي (١١٦٢) أبوداود (٤٦٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الترمذي (١٩٨٧).

فلله دره ما أشد تواضعه!! وما أكرم نفسه!!..

ولله ما أحلمه وما أوقره!! وما أجوده وما أوفره!!..

ولله ما أحسن إخباته!! وما أكثر حصاته!!..

وما أوفر أصالته!! وما أرجح جزالته!!..

تواضع لما زاده الله رفعة وكل رفيع قدره متواضعُ

وإن رفيع القوم من يتواضعُ

عُرف رحمه الله في المسجد الحرام بتواضعه مع المصلين والحجاج والمعتمرين.. حيث يأتي كثير من محبيه للسلام عليه، وبعضهم يستفتيه ويسأله، وبعضهم يحدثه في حوائجه، وهو مع كثرة الناس حوله لا يعبس في وجه أحد، ولا ينهر أحداً، ولا يرد أحداً، بل يستقبل الناس بكل رفق وأريحية وبشاشة وبِشر:

وأخو البِشر محبوب على حسن بِشره

وكان يقول: «لو عرفوا ما نحن عليه من تقصير لما صافحونا».

يقول الدكتور عبد الله حريري ـ عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى ـ: «وعندما يطل علينا من (الحِجر) ليؤم المصلين في صلاة العصر بذلك الوجه النوراني مرتدياً (بشته) الذي كان كثيراً لارتدائه له ذا اللون (الأبيض) يبدأ مسلماً على الجميع بتحية الإسلام قبل البدء في الصلاة، وبعدها سباقاً للمصافحة كل من خلفه، ومن يريد السلام عليه، تراه يمشي مشية خفيفة هادئة يقف لكل من يريد السلام عليه، هادئاً في حديثه، محباً

لفعل الخيرات، مناقشاً في حوار هادف، فكم جلسنا سوياً في حرم الله الأمين وتحدثنا طويلاً كلما تهيأت الظروف»[١].

«وقد عرفه الناس بسعة صدره وعدم ضجره وحسن ترحيبه بمن يزوره، وتحمله للكلام حتى لو كان قاسيا، حدَثَ أن قام شخص وتكلم بشأن بعض الإجراءات في المسجد الحرام وشدد القول حتى في حق والده الشيخ محمد السبيل فكان الشيخ عمر لا يزيد على قول: ابشر.. نبلغه! (أي سيبلغ والده فيما قال الرجل من ملاحظات)»[٢].

وقال الدكتور عبد الوهاب الطريري: «ولقد عرفته على مدار اثنتين وعشرين سنة شادياً في بدايات الطلب ثم عالماً وإماماً في الحرم، فما عرفت بين حالتيه فرقاً إلا مزيد التواضع، وحسن العهد، يطفح وجهه بشراً عند اللقاء، ويفيض عذوبة عند الحديث، ولا يطول بك المجلس معه حتى تتهمه بأنه يطوي جوانحه على نفس رضية، وقلب سليم».

كان رحمه الله مأوى الفقراء والمساكين، ولا يرد أحداً منهم، وكان عند خروجه من الحرم إلى سيارته يوزع عليهم الأموال بعضهم من خمسين، وبعضهم مائة، وبعضهم خمسمائة، وأحياناً ينفد ما كان مع الشيخ من مال فيلاطفهم ويواعدهم في اليوم التالي:

---

(١) انظر مقال الدكتور حريري في الفصل السابع.

(٢) بتصرف من مقال الدكتور وليد المنيس في الفصل السابع.

هــو البحــر مــن أي النــواحي أتيتــه
فلُجتــه المــعروف والجــودُ ســاحله
ولــو لم يكــن في كفــه غــير روحــه
لجــاد بهــا فليتــق الله ســائلــه

والشيخ رحمه الله كان يقوم على بيوت للأيتام والأرامل لا يعرف عنهم بعد الله إلا هو، وكان يذهب إليهم بنفسه، ولم يُعرف عنه ذلك إلا بعد وفاته رحمه الله.

ولقد سمعت بعض فقراء الحرم يقولون يوم وفاته: «من للفقراء والمساكين غير الشيخ بعد الله تعالى؟!».

وكان رحمه الله يجلس في غرفته بالمسجد الحرام في ليالي رمضان لكي يأخذ قسطاً من الراحة، ويستقبل المشايخ وأهل الفضل من أنحاء العالم الإسلامي، ويستقبل المستفتين، ويستقبل الفقراء والمساكين وأهل الحاجات فيقضي حوائجهم، فتمتلئ الغرفة بالناس وأكثرهم من الفقراء والمساكين، ولسان حالهم :

نميــل عــلى جوانبــه كأنــا نميــل عــلى أبينــا أو أخينــا
نقلبــه لنخــبر حالتيــه فنخــبر مــنهما كرمــاً ولينــا

***

يزدحــم القــصاد عــلى بابــه والمنهل العذب كثير الزحام

***

فتى كملــت خيراتــه غير أنــه جواد فما يبقي من المال باقيا

المبحث الخامس

دعوته إلى الله ﷻ

«إن أكبر عامل على سلوك الأمة سبيل الحق، وانتهاج طريق الهدى: القيام بما شرع الله ﷻ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء شأنه في الأمة، فإنه حصن الإسلام عن الفتن، والدرع الواقي عن المحن، وهو السياج الحامي عن المنكرات والمعاصي.

إنه الحامي لأهل الإسلام عن نزوات الشياطين، ودعوات المضللين، والوثاق الذي تتماسك به عرى الملة والدين، وتحفظ به حرمات المسلمين[1]».

إن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء، والعمل الدعوي ميدان رحب، ومجال الحركة فيه بحر، فمن أخلص النية، وأنقى الطوية، كتب الله له الأجر الجزيل، والثواب الجليل.

لقد كان لشيخنا رحمه الله باع طويل في الدعوة إلى الله تعالى، في ارتقائه منبر الكعبة الشريفة، ودروسه الأسبوعية في المسجد الحرام، وأثناء عمله وتدريسه في الجامعة، وكان يحرص على إلقاء الكلمات والمواعظ في القرى والهِجر والضواحي.

قال معالي الشيخ صالح بن حميد ـ حفظه الله ورعاه ـ: «لقد كان داعية موفقاً، كما كان مشاركاً فيما يفيد من مؤتمرات علمية، ومجامع فقهية، ومنابر

---

(١) من خطبة للشيخ عمر السبيل رحمه الله، انظر: «من منبر الحرم المكي» (٥٩).

وعظية، وندوات بحثية، له حضور متميز في الدعوة، والعلم، والفقه، والبحث العلمي، والنظر في قضايا المسلمين، وفي مشكلاتهم، ونكباتهم، وفي مخالفاتهم وبدعهم».

وكانت له مع سماحة والده ـ حفظه الله ـ جولات خارجية كثيرة، كما أنه استقل برحلات دعوية عديدة إلى عدة دول، من أبرزها:

١. الإمارات العربية المتحدة: وقد زارها مرتين:

الأولى: لبى فيها دعوة حاكم إمارة رأس الخيمة الشيخ صقر القاسمي في شهر صفر من عام ١٤٢١هـ، وكانت زيارته الأولى للمنطقة، وقد احتفى به حاكمها كثيراً، وكانت الزيارة حافلة بالمحاضرات، والزيارات لعدد من الإمارات، والتي كان لها الأثر الكبير في نفوس أهل تلك البلاد.

الثانية: كانت في أواخر شهر جمادى الآخر لعام ١٤٢٢هـ، حيث لبى دعوة مركز الشيخ محمد بن خالد آل نهيان، واستقبله معالي وزير العدل والشؤون الإسلامية، وقام الشيخ بإلقاء العديد من المحاضرات، كانت منها محاضرة خص بها طلاب كلية الشرطة، بعنوان: (الإخلاص في العمل)، ومحاضرة أخرى بمركز الشيخ محمد بن خالد آل نهيان، بعنوان: (ثمار التقوى)، وألقى كذلك محاضرة بالاتحاد النسائي العام، بعنوان: (وصايا للنساء)، وأقيم معه لقاء مباشر في إذاعة القرآن الكريم في أبو ظبي، وذلك في برنامج العلاقات الأسرية في الإسلام، في يوم الخميس الموافق ١٣/ ٩/ ٢٠٠١م[1].

---

(١) «النسيم العليل» (٦٥).

٢. **الكويت: وقد زارها مرتين:**

الأولى: تلبية لدعوة تلقاها لحضور ندوة تتعلق بالقضايا الفقهية الطبية.

والثانية: زيارة خاصة للشيخ محمد بن ناصر العجمي، حيث يرتبط معه بعلاقة أخوية علمية، زار خلالها فضيلة الشيخ محمد بن سليمان الجراح عالم الكويت، واطلع فيها على العديد من المخطوطات التي يمتلكها الشيخ محمد العجمي.

٣. **اليابان:** حيث لبى دعوة من أمين جمعية الوقف الإسلامي هناك لافتتاح مسجد (أوتسكا) بطوكيو في عام ١٤٢٠هـ، حيث افتتح المسجد وألقى فيه خطبة الجمعة، وعدداً من المحاضرات، والتقى بجمع من الدعاة هناك.

ومن مواقفه في هذه الزيارة أن جالية إسلامية في اليابان لديهم مسجد كبير، وكانوا يرغبون في محاضرة من الشيخ، وكان مقرهم بعيداً عنه وكان برنامجه ممتلأً بالمحاضرات والزيارات، فقال الشيخ رحمه الله: أعطوهم وقتاً ولو كان متأخراً، فألقى الشيخ محاضرة بعد صلاة العشاء، ثم توجه إليهم، وأخبره مرافقه في الطريق أن أولئك الإخوة لا يتشجعون لمشايخ المملكة، فألقى الشيخ محاضرته، فتعجب الحضور، وانقلبت المفاهيم عندهم تماماً، وخرجوا يُكبرون ويُهللون وعلى الشيخ يُسلِّمون.

٤. **هونغ كونغ:** حيث لبى دعوة من رئيس حركة ختم النبوة، المضادة للقاديانية[١] المنتشرة في تلك البلاد لحضور مؤتمرهم السنوي، والذي عُقد في شوال من عام ١٤٢٢هـ، كما ألقى عدة محاضرات وعقد عدة لقاءات مع بعض الشخصيات فيها.

يقول الأمين العام لحركة ختم النبوة فضيلة الشيخ عبد الحفيظ ملك حق: « لا يمكن أن أنسى تلك الأيام المباركة التي زارنا فيها فضيلة الشيخ عمر السبيل الذي لمسنا فيه تواضعه الجم ودماثة خلقه وزهده وغيرته على حرمات المسلمين وسؤاله الدائم عن أحوالهم، مما كان له عظيم الأثر في نفوس أبناء الجالية الإسلامية في (تايوان)، حيث كان السُّبيِّل مثالاً حياً

---

(١) القاديانية باختصار: ـ هي حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص. بدأ مؤسس الحركة مرزا غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار، ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله، ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد ﷺ

- يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويكتب ويخطئ ويجامع، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
- تعتقد القاديانية يأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ، بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.
- يعتقد القاديانيون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.
- كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر.
- يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

للاستزادة، انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٤١٦)، و«الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية» للشيخ محمد السبيل، «والقاديانية» للشيخ إحسان إلهي ظهير.

ونموذجاً مضيئاً للداعية المتفاعل، والفقيه المشارك، والإمام القدوة الذي يعتبر مدرسية فقهية متنقلة، همه الأول دعم العمل الإسلامي والوقوف على أحوال المسلمين - رحم الله الشيخ السبيل رحمة واسعة وتغمده بواسع فضله -» ا.هـ.

وكانت له لقاءات دعوية مع كثير من الحجاج والمعتمرين الذين يأتون إلى مكة المكرمة ويدعونه لإلقاء كلمات وتوجيهات في مقر سكنهم، وقد حدثني بعض الإخوة من مملكة البحرين أنهم دعوا الشيخ أكثر من مرة فكان يستجيب دعوتهم ويجتمع بهم ويوجههم ويرشدهم.

وكان من آخر لقاءات الشيخ ـ غفر الله له ـ الدعوية، لقاء بطلبة دولة الإمارات المعتمرين في ذي القعدة سنة ١٤٢٢هـ، وكان ذلك في مقر إقامتهم في مكة، وألقى الشيخ كلمة وجه فيها الحضور إلى الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في هذا الزمن، الذي يشهد فيه العالم هجمة عنيفة على الإسلام للنيل من مكانته ورسالته وتشويه سمعته..[1].

ويقول الأستاذ عبد الرحمن شفيع: «خرجت مع الشيخ رحمه الله إلى المدينة المنورة ومحافظة رنية من أجل الدعوة إلى الله تعالى، وكان ذلك قبل خمس وعشرين سنة تقريباً[2]، وكانت له رحلات غيرها من أجل الدعوة إلى الله تعالى[3]».

---

(١) «جريدة البيان الإماراتية». نقلاً عن «صفحات مشرقة..» (٥٢) (مخطوط).

(٢) يعني كان عمر الشيخ آنذاك ١٨ عاماً.

(٣) نقلاً عن «صور وعبر» للعسيري.

وكان رحمه الله يلقي الكثير من المحاضرات في عدد من قرى ومدن المملكة، ويسافر لها من ماله الخاص، ويرفض أن تقوم الجهة الخيرية التي دعته بتحمل نفقات السفر والإقامة.

وقبل وفاة الشيخ بسنتين تقريباً وجهت له دعوة لرعاية حفل تحفيظ القرآن الكريم الذي أقيم بمدينة سبوحة ـ والتي تبعد عن مكة نحو ٤٠ كيلو ـ، وفي جامع سبوحة، فاستجاب الدعوة، وألقى فيه محاضرة بعنوان: «الأخوة في الإسلام»، ثم رعى الحفل الذي أقامته حلقة التحفيظ لطلابها المتفوقين، فقام الشيخ رحمه الله بتوزيع الجوائز على الطلاب، ثم ألقى كلمة عن أهمية القرآن وفضله.

وقد نُشرت له بعض الخطب والمقالات في مجلة الدعوة وغيرها، ومن آخر ما نُشر له مقالان:

١. «الحث على الزواج وتيسر أموره»، مجلة الدعوة، شوال ١٤٢٢هـ.

٢. «الاستغفار سبب لنزول الغيث المدرار»، مجلة الدعوة، ذي القعدة ١٤٢٢هـ.

وكانت له توجيهات ونصائح لأرباب الصحف ورجال الإعلام، فقد وجه رحمه الله قبل وفاته بأيام نصائح للعاملين في صحيفة المدينة، تتعلق بالحفاظ على القيم والأخلاق وأنها سبب الرقي والعز للأمم.

وكان رحمه الله ينصح باستغلال الإنترنت في الدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن قضايا المسلمين، ونشر محاسن الإسلام، ولم يرفض المشاركة فيه حين دعي لها.

يقول د. عبد الوهاب الطريري: «وعندما عرضت عليه المشاركة في نافذة الفتاوى في موقع الإسلام اليوم، قَبِل الدعوة بقبول حسن، ووجدته سمحاً مجيباً، ووعد بها قبيل الحج، ثم كان أمر الله قدراً مقدوراً[1]».

ومما يُذكر أن الشيخ رحمه الله كان على موعد مع مندوبية الزاهر بمكة المكرمة لإلقاء محاضرة بعنوان: «الموبقات السبع» في تاريخ ٢/ ٢/ ١٤٢٣هـ.

ولكن.. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد:٣٨) نسأل الله أن يكتب له أجرها.

---

(١) مقال الطريري، الفصل السابع.

الفصل الرابع

أعماله ومناصبه

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: إمامته: وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: إمامته في غير المسجد الحرام.
  - المطلب الثاني: إمامته في المسجد الحرام
- المبحث الثاني: خطابته في المسجد الحرام.
- المبحث الثالث: تدريسه: وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: تدريسه في المسجد الحرام.
  - المطلب الثاني: تدريسه في جامعة أم القرى.

المبحث الأول

إمامته

المطلب الأول: إمامته في غير المسجد الحرام:

«للإمام في الصلوات مكانة جليلة في الإسلام، كما أنها مسؤولية كبيرة تقتضي أن يتصف الإمام بأوصاف مخصوصة»[1]، وتشترط فيه شروط منصوصة، وهي مرتبة عظيمة تتطلب إنساناً متأهلاً لها، وهي مرتبة تكليف وتشريف.

وكان الشيخ عمر قد تولى إمامة عدة مساجد في بداية شبابه، فقد انتُدِب لصلاة التراويح في أحد المساجد بحي العتيبية شارع الجزائر بمكة المكرمة.

وانتُدِب أيضاً من قبل الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم للإمامة في صلاة التراويح في مدينة لندن ببريطانيا.

وكذلك تولى إمامة وخطابة جامع الأمير سلطان بن عبد العزيز بحي العزيزية بمكة المكرمة في عام ١٤٠٣هـ واستمر فيه إلى أن عين إماماً في المسجد الحرام.

---

(١) رعاية الحرمين الشريفين، للشيخ محمد السبيل (٨٣).

المطلب الثاني: إمامته في المسجد الحرام:

«إن الإمامة في المسجد الحرام والمسجد النبوي مسئوليتها أعظم من مسئولية الإمام في أي مسجد آخر، فإن الإمام يصلي خلفه الوافدون من أنحاء العالم، وخاصة في المواسم، ويسمع خطبه مئات الآلاف من الناس ويسمع صوته في أرجاء الدنيا؛ لذا يُراعى عند تعيين الإمام في المسجد الحرام أن يكون حافظاً لكتاب الله، مجوداً له، وأن يكون من أهل العلم المعروفين بالتحصيل الشرعي الواسع، وحسن الأخلاق، متبعاً لسنة الرسول ﷺ عقيدة وعملاً، صاحب خُلُقٍ حسن وسيرة مرضية، له قدرة في أداء وإجادة الخطابة في الجمع والأعياد على وجه حسن»[1].

وقد صدر الأمر السامي الكريم بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن محمد السبيل إماماً وخطيباً للمسجد الحرام بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول لعام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف للهجرة النبوية المباركة.

---

(١) رعاية الحرمين الشريفين، للشيخ محمد السبيل (٨٣).

المبحث الثاني

خطابته في المسجد الحرام

كانت خطبه المنيفة من منبر الكعبة الشريفة، تطرق أُذن سامعها فلا تجد إلا أن تدخل قلبه، وتسكن لُبَّه.

خطبه رحمه الله في غاية العذوبة والسلاسة، والبعد عن التكلف المذموم، يُذكر ويُخبر.. ويبشر وينذر.. وعن مخبَّئات خدور العلم يُسفر.

رقي منبر المسجد الحرام خطيبا.. فنشر منه علماً ووعظا.. فلا يُدرى أضم خطيبا.. أم ضُمِّخ طيبا!!..

بنى رحمه الله خطبه على أصل متين، وهو الكتاب المبين، وسنة خاتم النبيين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

زمزمة حاد.. وخفخفة مناد.. مع شفقة الداعية الحاني، ومنهج الدعوة الرباني ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

تارة يُوجِّه الأمة في الأزمات والفتن.. وينهى عن البدع ويأمر بالسُّنن..

ومرة يحذر من الكبائر.. وتارة يدعو لإخلاص الضمائر.. وتنقية السرائر..

وأخرى في التذكير بعملٍ صالح.. وتثبيت كل فالح.. وتبيين المفاسد والمصالح..

خطب تناثر كاللآلئ ثرة ... لله در الفارس الضرغام

آه.. ما أحلى ذلك الصوت الذي ما زال يتردد صداه في أروقة البيت العتيق.. ويتذكره كل محب جاء من فج عميق..

مواعظ أثَّرت في نفوس الكثير.. وطارت في أرجاء الأرض كالعبير.

نفحاتٌ طيبات.. وعبارات سديدات..

وناديت تحت البيت تخطب واعظاً

وبلغت ميراث الرسول معلماً

بنفسي ذاك الصوت ما أعذب الصدى

صداهُ وما أصما نواه إذا رمى

وكانت أول خطبة له رحمه الله يوم الجمعة ٩/ ١٢/ ١٤١٣هـ.

لقد كان رحمه الله حريصاً على تطبيق السنة في خطبه، فقد كان صعوده للمنبر بعد زوال الشمس بدقائق معدودة، وأذكر أني حسبت الوقت مرة بين الأذان الأول وصعوده، فكان ثمان دقائق، وهذه هي السنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس. (رواه الترمذي)[1].

وكانت خطبه رحمه الله تتَّسِم بالقِصَر، والإيجاز والإبلاغ، وقد قال المصطفى ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئِنَّة من فقهه) أي: علامة، (رواه مسلم)[2].

---

(١) رواه الترمذي (٥٠٣) وقال: "حديث أنس حديث صحيح، وهو الذي أجمع عليه أكثر أهل العلم أن وقت الجمعة إذا زالت الشمس، كوقت الظهر، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق".

(٢) صحيح مسلم (٨٦٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، وعلى مدح الإطناب في مقام الخطبة بحسب المقام[1]».

ألقى فضيلته رحمه الله في المسجد الحرام قرابة المائة خطبة، وإليك عناوين بعضها:

١- تحقيق التوحيد.

٢- وسطية الإسلام واعتدال أحكامه وتشريعاته.

٣- كمال شريعة الإسلام والتحذير من أهل الأهواء (ألقيت خلال انعقاد مؤتمر المرأة ببكين، عام ١٤١٦).

٤- الاعتصام بالقرآن.

٥- الحث على تحقيق العدل.

٦- الحث على تحقيق الأخوة الإسلامية.

٧- الحث على التضامن بين المسلمين (ألقيت في ٢١/ ٨/ ١٤٢١هـ، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في الدوحة، وقد أقيم قبله مؤتمر القمة العربي في القاهرة بعد الاعتداءات في فلسطين).

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانته في الإسلام.

٩- مكانة الصلاة في الإسلام.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٠٤).

١٠- بر الوالدين.

١١- التشويق إلى دار النعيم.

١٢- الحث على الإخلاص والتحذير من الرياء.

١٣- الحث على شكر الله.

١٤- الحث على خشية الله.

١٥- خطبة آخر العام.

١٦- فضيلة الذكر وشرف الذاكرين.

١٧- من فضائل الاستغفار.

١٨- الحث على الزواج.

١٩- الحقوق الزوجية.

٢٠- الحث على الكسب الحلال والتحذير من الحرام.

٢١- الصدق وأثره في المجتمع.

٢٢- في الصبر على البلاء.

٢٣- الحث على الحلم والصفح.

٢٤- الحث على كفالة اليتامى.

٢٥- الحث على صحبة الأخيار.

٢٦- فضل يوم الجمعة.

٢٧- حرمة البلد الحرام.

٢٨- التحذير من النفاق.

٢٩- موقف المسلم عند تأزم الفتن.

٣٠- شؤم المعاصي.

٣١- التحذير من بعض مساوئ الأخلاق.

٣٢- خطر السحرة والمشعوذين.

٣٣- التحذير من جريمة القتل.

٣٤- خطر الربا على الفرد والمجتمع.

٣٥- التبرج والسفور وخطره على الأمة.

٣٦- التحذير من فتنة الدنيا.

٣٧- شؤم الحسد وخطره.

٣٨- التحذير من الغيبة.

٣٩- التحذير من الرشوة.

٤٠- التحذير من الإسراف والتبذير.

٤١- في ذكرى الهجرة.

٤٢- حقيقة محبة النبي ﷺ (التحذير من بدعة المولد).

٤٣- التربية والتعليم في ضوء تعاليم الإسلام (بمناسبة بدء الدراسة).

٤٤- قيمة الوقت في حياة المسلم (بمناسبة بدء الإجازة الصيفية).

٤٥- ذكرى الإسراء والمعراج.

٤٦- أداء الزكاة.

٤٧- فضل العشر الأواخر من رمضان.

٤٨- في ختام شهر رمضان.

٤٩- من منافع الحج ومناسكه.

٥٠- فضل يوم عرفة.

٥١- الاستقامة على نهج الهدى. (أول خطبة بعد انتهاء موسم الحج).

٥٢- الحث على حفظ اللسان والعناية بأدب الحديث (وهي آخر خطبة له رحمه الله، وكانت في ٤/ ١١/ ١٤٢٢هـ).

- وخطبة عيد الأضحى المبارك.

- وخطبة الاستسقاء.

المبحث الثالث

تدريسه

المطلب الأول: تدريسه في المسجد الحرام

إن وظيفة التدريس والتعليم لمن أعظم الوظائف وأشرف المهن، فهي وظيفة الرسل والأنبياء، وهي رسالة وأمانة وليست سبيل ارتزاق أو طريق معيشة.

المدرس صانع أجيال، ومؤسس أمة، وباني مجتمع، ويكفيه ما ينال من الأجر الجزيل من الواحد الجليل، قال النبي ﷺ: (من علَّم علماً فله أجر ذلك ما عمل به عامل، ولا ينقص من أجر العامل شيء)[1]. والنصوص الحاضة على تعليم الناس كثيرة، وليس هذا موضع بسطها.

كان لأبي أنس رحمه الله دروس في عدد من المساجد منها في المسجد الذي كان يتولى إمامته في شرح كتاب: (الروض المربع)، ودرس في الفرائض وغيرها، كما كان له درس آخر بأحد مساجد حي العزيزية بمكة المكرمة في عام ١٤١٥هـ، وكان الدرس في شرح كتاب: "هداية الراغب شرح عمدة الطالب" في الفقه.

استمر الشيخ في درسه حتى أواخر عام ١٤١٦هـ، حيث بدأ دروسه في المسجد الحرام في ٢٢/ ١١/ ١٤١٦هـ، بعد صلاة العصر في المطاف أمام

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٠).

رواق باب العمرة، حيث شرع في شرح كتاب: "هداية الراغب شرح عمدة الطالب" للشيخ العلامة عثمان بن أحمد بن قائد النجدي الحنبلي (ت ١٠٩٧هـ).

وقد اختار الشيخ في بداية تدريسه في المسجد الحرام أن يشرح كتاب الحج، نظراً لأن الدرس كان في موسم الحج.

وبعد الحج استأنف الشيخ دروسه، وأضاف على الدرس الأول درساً في التوحيد، وهو قراءة من كتاب " قرة عيون الموحدين" للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله وهو في شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وقد أكمل الشيخ رحمه الله شرح هذا الكتاب في أواسط عام ١٤٢٢هـ.

وكانت طريقة الشيخ أن يقسم درسه إلى قسمين: فيبدأ بالتعليق على كتاب "قرة عيون الموحدين"، ثم يشرع في الفقه في شرح كتاب "هداية الراغب" كما تقدم، ثم رأى الشيخ أن يجعل يوماً لدرس التوحيد، ويوماً لدرس الفقه.

وكان له بعد درسه درس خاص لبعض طلبته في شرح كتاب: "تقرير القواعد وتحرير الفوائد" للحافظ ابن رجب رحمه الله.

كانت دروس الشيخ رحمه الله مبنية على التأصيل العلمي، والتدرج في أخذ العلم شيئاً فشيئاً، ويحرص على أن يلج طالب العلم من بابه الصحيح، وألا يتسور حصنه العالي.

كذلك كان رحمه الله يحرص على أن يتأدب الطالب قبل أن يتعلم، وأن يلزم رونق العلم من سمت صالح ومروءة حسنة.

لقد كان درس الشيخ رحمه الله مورداً صافياً، ومعيناً عذباً لطالب العلم والفتوى والإرشاد والتوجيه.

يستمع له طلاب العلم والعوام، يستوقف درسُه المارِّين، ولا يكل منه الجالسون.

وتميز درس الشيخ رحمه الله بأمور، منها:

أنه يجمع بين العلم والوعظ، فلم يكن رحمه الله يُهمل شأن الوعظ الذي هو سياط القلوب، وفيه تهذيب النفوس، وزجرها عن رِجزها[1]، ودفعها لنفعها، وقرعها لرفعها، وهو لها سياط، للزومها الصراط.

وكان غفر الله له يتأثر سريعاً في دروسه، ففي يوم الأحد السادس عشر من شهر جمادى الآخر لعام عشرين وأربعمائة وألف وعند القراءة من كتاب "قرة عيون الموحدين" كان الدرس في شرح باب: «من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ»، حيث تعرض لقصة المنافقين الذين استهزؤوا بالنبي ﷺ وأصحابه في غزوة تبوك، حينما قالوا: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء..» الحديث.. تأثر الشيخ رحمه الله وخنقته العبرة من هذه المقولة المهولة التي تجرأ بها المنافقون، وهكذا كان حاله عند ذكر سيرة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة، وما وقع لهم من أحداث.

---

(١) الرِّجز: هو وساوس الشيطان، قال تعالى: ((ويذهب عنكم رجز الشيطان)). انظر: لسان العرب (رجز).

وليس هذا بغريب، فهكذا كان السلف الصالح رحمهم الله، ذكر الحافظ السمعاني[١] والحافظ الذهبي[٢] في ترجمة الحافظ محمد بن المسيب الأرغياني (ت ٣١٥هـ) أنه كان إذا قرأ الحديث وقال: قال رسول الله ﷺ، بكى حتى نرحمه.

وفي أحد الدروس عندما تطرق الشيخ عمر رحمه الله لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عليه رحمات رب البرية ـ وذكر المِحنة التي امتحنها الشيخ فاضت عيناه بالدموع.

ذي المعالي فليعلون من تعالا هكذا هكذا وإلا فلا لا

***

ردد علي حديثهم ياحادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

***

واحر شوقي إليهم كلما هجست نفسي فنفسي بهم مشدودة الكلف

---

(١) « الأنساب » (١/ ١٦٩). نقلاً عن «صفحات من صبر العلماء» لأبي غدة.

(٢) « تذكرة الحفاظ » (٢/ ٧٨٩) نقلاً عن المرجع السابق.

المطلب الثاني: تدريسه في جامعة أم القرى

عيّن رحمه الله معيداً في كلية الشريعة في جامعة أم القرى في عام ١٤٠٣هـ، فبقي فيها مدرساً أميناً كريماً يعرف قدر المسؤولية التي على عاتقه، ثم تقلد عدة مناصب في الجامعة، فصار رئيساً لقسم الشريعة عام ١٤١٤هـ، ثم رئيساً لمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية عام ١٤١٥هـ، ثم وكيلاً لكلية الشريعة عام ١٤١٥هـ، ثم عميداً لكلية الشريعة عام ١٤١٧هـ، ولم تتجاوز فترة عمله عميداً للكلية الشهرين، «فلم تطل فترة عمادته حينما رأى أن الشؤون الإدارية لا تساعده على تحقيق طموحاته، ولما لم يكن إلى ما يريده من تطور، ونهوض وتوسع، غادر العمادة طائعاً مختاراً، ليواصل جهوده العملية في إيجاد كوادر علمية من أبناء هذه البلاد والوافدين إليها، وقد امتد نشاطه العلمي إلى خارج أروقة الجامعة، إلى المسجد الحرام[1]» .

كان الشيخ عمر ـ غفر الله له ـ حريصاً على طلابه في الجامعة من ناحية الأخلاق ومن ناحية العلم.

فكان كثيراً ما يوصي الطلاب بالأدب مع العلم وأهله، فإذا رأى طالباً متكئاً على كتاب نهاه عن ذلك، وأوصاه بالالتزام بالأدب مع كتب أهل العلم.

وكان يوصي رحمه الله دائماً بتقييد العلم، ويردد البيتين المشهورين:

---

(١) من مقال فضيلة الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، انظر: الفصل السابع.

العـــلم صيـــد والكـــتـابـــة قـــيده

قـــيد صيـــودك بالحبـــال الواثقـــهْ

فـــمن الحمـاقـــة أن تـــصيـد غزالـــة

وتتـركهـــا بـــين الحـدائـــق طـالقـــهْ

وكان من منهج الشيخ أنه لا يرد أحداً من الطلاب جاء لدخول القاعة الدراسية ولو جاء متأخراً.

وقد ناقش العديد من الرسائل الجامعيـة، منهـا مناقـشته للـشيخ عبـد الباري الثبيتـي - حفظـه الله - إمـام وخطيـب المـسجد النبـوي في رسـالة الماجستير.

ومما يُذكر أن شيخنا رحمه الله درَّس بدار الحـديث الخيريـة بمكـة المكرمـة متطوعاً لمدة سنتين.

الفصل الخامس

آثاره وطلابه

الفصل الخامس

آثاره وطلابه

لقد ترك شيخنا رحمه الله آثاراً مباركة، رغم قصر المدة الزمنية لعمره، حيث توفي رحمه الله في أشُد عمره، إلا أنه لم يصرف شيئاً من حياته - فيما نحسبه - إلا في فائدة تعود عليه وعلى أمته بالنفع.

فكان أن رحلَ عن الدنيا ومر.. وقال الناس بعده: هذا الأثر.. وجُني الثمر.. ومَدَحُه حُسن فِعاله.. ولم يمدح نفسَه بمقاله..

لقد ترك شيخنا آثاراً مقروءة ومسموعة، وترك طلاباً رباهم وعلَّمَهم.

فأما الآثار المقروءة (الكتب) فلم يكن رحمه الله متفرغاً للتأليف، إلا أنه كان له باع فيه لا سيما في المسائل الفقهية، **وهذه أسامي الكتب والرسائل التي رقمها:**

١. كتاب «إيضاح الدلائل في الفَرْق بين المسائل»، للإمام عبد الرحيم بن عبد الله الزريراني الحنبلي، تحقيق ودراسة، وهي رسالة الدكتوراه، طُبع في مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى عام ١٤١٤هـ في مجلدين.

٢. «أحكام الطفل اللقيط دراسة فقهية مقارنة»، وهي رسالة الماجستير، طبعتها دار الفضيلة عام ١٤٢٦هـ.

٣. «من منبر الحرم المكي»، ديوان خطب أُلقيت في المسجد الحرام، وعدد الخطب التي فيه: (٥٤) خطبة مع خطبتي العيد والاستسقاء طبعته مكتبة الرشد عام ١٤٢٤هـ.

٤. «البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجناية» مطبوع عام ١٤٢٣هـ بدار الفضيلة، وكان سبب تأليف هذه الرسالة أن رغب إلى الشيخ رحمه الله فضيلة أمين المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي المشاركة بإعداد بحث حول مشروعية استخدام البصمة الوراثية؛ لعرضه على مجلس المجمع في دورته السادسة عشرة المعقودة في عام ١٤٢٢هـ، كما ذكر ذلك الشيخ في مقدمة كتابه.

٥. «حكم الطهارة لمس القرآن الكريم وما يتعلق بذلك من أحكام دراسة فقهية مقارنة»، والكتاب مطبوع طبعتين: **الأولى**: عام ١٤٢٤هـ، عن دار الفضيلة، **والثانية**: عام ١٤٢٩هـ عن دار كنوز إشبيليا .

وأصله مقالين نُشرا في مجلة جامعة أم القرى.

٦. ترجمة مختصرة لفضيلة والده الشيخ محمد السُّبَيِّل ـ حفظه الله ورعاه ـ، وهي منشورة في كتاب: «قبسات من خطب الحرمين الشريفين».

٧. ترجمة لعمه فضيلة الشيخ عبد العزيز السُّبَيِّل رحمه الله، وهي منشورة في كتاب: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام رحمه الله.

٨. ترجمة مختصرة لعمه الشيخ محمد السُّبَيِّل رحمه الله، وهي منشورة في كتاب: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام رحمه الله[1].

٩. مقالة عن شيخه المحدث محمد بن عبد الله الصومالي رحمه الله، وقد نُشرت بمجلة الأصالة في شهر ربيع الآخر لعام ١٤٢١هـ.

---

(١) راجع الفصل الأول من الكتاب، ففيه تراجم مختصرة لأصحاب الفضيلة والده وعميه.

١٠. ترجمة مختصرة لخاله الشيخ عبد الكريم البكري، من علماء دولة الإمارات.

١١. تاريخ أسرة السُّبَيِّل (مخطوط).

١٢. ترجمة مختصرة للشيخ عبد الله الخليفي إمام المسجد الحرام رحمه الله (مخطوط).

١٣. تحقيق جزء من أول كتاب الفروق للسامري (مخطوط).

أما الآثار المسموعة فهي كالتالي:

١. خطبه في المسجد الحرام، وهي مسجلة على أشرطة وموجودة في المكتبة الصوتية بمكتبة الحرم المكي، وقد صدرت مؤخراً على قرص مضغوط (CD) يحتوي على ثمان وتسعين خطبة.

٢. إمامته للناس في صلاة التراويح بالمسجد الحرام عام ١٤١٣هـ وهي مسجلة على ثلاثة أشرطة، وموجودة بمكتبة الحرم المكي، وقد صدرت مؤخراً على قرص مضغوط(CD).

٣. شرح كتاب «هداية الراغب» في الفقه الحنبلي، وهي أشرطة صوتية لدروسه في المسجد الحرام، موجودة في المكتبة الصوتية بمكتبة الحرم المكي.

٤. شرح كتاب «قرة عيون الموحدين» في العقيدة، وهي أشرطة صوتية لدروسه في المسجد الحرام، موجودة في المكتبة الصوتية بمكتبة الحرم المكي.

٥. شرح كتاب البيوع من «عمدة الفقه» لابن قدامة، شرحه الشيخ في الدورة العلمية الصيفية بجدة عام ١٤١٦هـ، وهو موجود على أشرطة في

تسجيلات التقوى بجدة.

٦. شرح كتاب الحج من «هداية الراغب»، وهو شرح خاص لبعض طلابه، قبيل حج عام ١٤١٤هـ، وهو مسجل عند بعض تلاميذ الشيخ.

٧. مناقشاته لعدد من الرسائل العلمية، وهي موجودة بمركز الوسائل التعليمية بجامعة أم القرى.

أما طلابه ـ غفر الله له ـ فهم كثير، ممن درس عليه في الجامعة أثناء تلك السنين الطويلة، وممن حضر دروسه في الحرم، وقد يصعب حصرهم، لكننا نذكر ـ بإذن الله ـ أغلبهم وأكثرهم ملازمة للشيخ ـ ونعتذر ممن لم نذكر اسمه ـ:

١. الشيخ د. ناصر بن عبد الله الميمان، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة في جامعة أم القرى.

٢. الشيخ د.غازي بن مرشد العتيبي، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة.

٣. الشيخ د. مشعل بن غنيم المطيري، له كتاب في ترجمة شيخه، أسماه: «صفحات مشرقة من حياة الشيخ عمر السبيل»، وهو تحت الطبع.

٤. الشيخ د.فيصل بن داود المعلم، مدرس بمعهد الحرم المكي.

٥. د. محيي الدين سليمان إمام النيجيري.

٦. د. مازن بخاري عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز.

٧. الشيخ د. محمد بن سعد العصيمي، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة في جامعة أم القرى.

٨. الشيخ محمد صديق المنصوري، من دولة الإمارات، وأحد المدرسين في أحد معاهدها العلمية.

٩. الشيخ فائز بن علي الأسمري، داعية في القوات المسلحة في خميس مشيط.

١٠. الشيخ نصير البركاتي الشريف، من رجال التربية والتعليم.

١١. الشيخ مسلَّم بن ظاهر الجهني.

١٢. الشيخ صادق السويهري، عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحرم المكي.

١٣. الشيخ عبد الله العسيري، مدرس بمعهد الحرم المكي.

١٤. الأخ أحمد العسيري، له محاضرة في ترجمة الشيخ عمر بعنوان: «صور وعبر من حياة الشيخ عمر».

١٥. الشيخ د.محمد النملة، أشرف الشيخ على رسالته في الماجستير.

١٦. شقيقه الشيخ علي السبيل، المشرف التربوي بوزارة التربية والتعليم بالرياض.

١٧. شقيقه الشيخ د.عبد الملك السبيل، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.

١٨. شقيقه الشيخ د.عبد المجيد السبيل، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.

١٩. ابن أخته الشيخ عبد اللطيف بن دخيل الدخيل، مدرس بمعهد الحرم المكي.

٢٠. ابنه الأخ الفاضل الشيخ أنس السبيل، متخرج من كلية الشريعة بجامعة أم القرى.

٢١. كاتب هذه الأسطر.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

الفصل السادس

فاجعة وفاته

الفصل السادس

فاجعة وفاته

إن من الأمور المعلومة المحتمة: أن كل حي غايته الفوت، و ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

فالموت باب وكل الناس داخله والقبر بيت وكل الخلق ساكنه

الكل يفنى ويموت، ويبقى ذو العزة والجبروت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦-٢٧).

كل شيء مآله للزوالِ غير ربي وصالح الأعمالِ

وهذه الدنيا كلها فانية زائلة، ونجومها لا شك آفلة، «هي إلى الآخرة طريق.. وهي مزرعة ليوم المعاد على التحقيق.. إنها ألم يخفيه أمل.. وأمل يحققه ـ بإذن الله ـ عمل.. وعمل يقطعه الأجل.. وعندها يُجزى كل امرئ بما فعل..

إنها الدنيا إن حَلَت أوْحَلَت.. وإن كَسَت أَوْكَسَت.. وإن دَنَت أَوْدَنَت.. وكم من ملِك فيها رُفعت له علامات.. فلما علا مات!!..

هي الأيام لا يبقى عزيزٌ وساعات السرور بها قليله
إذا نشر الضياءَ عليك نجمٌ وأشرق فارتقب يوماً أُفوله

إن أضحكت قليلاً أبكت كثيرا.. وإن سرَّت يوماً أحزنت شهورا.. وإن متعت يسيراً منعت طويلا.. لا يبقى لها حبور.. ولا يدوم فيها سرور..

اليـــوم عنـــدك دلُّهـــا وحديثهـــا وغـداً لغيـرك كفهـــا والمعـصـمُ[١]

***

ألا إنـــما الدنيـــا خـــضـارة أيكـــةٍ إذا اخضر منها جانب جف جـانبُ

هـي الـــدار مـا الآمـــال إلا فجـائع عليهـــا ولا اللـــذات إلا مـصـائبُ

«دار سريعة الزوال، وشيكة الارتحال، ليست بدار إقامة وحبور، وإنـما هي دار معبر ومرور، فذهاب البعض منها مؤذن بذهاب الكل.

كم فرقت بين ابن وأبيه.. وأخ وأخيـه.. وجلـيس وجليـسه.. ومحـب وحبيبه..كم فوتت فُرصا.. وجرعت غُصصا!![٢]».

كم أفجعتنا بفقد الأحباب.. وأرقتنا بمصاب تلو مصاب..

ولكن.. مما يخفف مصاب كل مصاب.. ويهون فاجعـة كـل مفجـوع: فقدان سيد الأنام - عليه الصلاة والسلام -.. فكل مُصاب بعـده يهـون.. وكل خطب بعده يلين.. وقد قال ﷺ: (يا أيها الناس: أيما أحد من النـاس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعـز بمـصيبته بي عـن المـصيبة التـي تـصيبه بغيري، فإن أحـداً مـن أمتـي لـن يـصاب بمـصيبة بعـدي أشـد عليـه مـن مصيبتي) (أخرجه ابن ماجه)[٣].

ومـا فقـــد الماضـــون مثـل محمـــد ولا مثلـــهُ حتـى القيامـــة يُفْقَـــدُ

أعـــف وأوفى ذمـــةً بعـــد ذمـــةٍ وأقـــرب منـــه نـــايلاً لا يُنكَّـــدُ

---

(١) «كشف الكربة» للشيخ علي القرني (٤٩) بتصرف.

(٢) من خطبة لمعالي الشيخ محمد السبيل حفظه الله. (من منبر المسجد الحرام) (١/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٩٩).

وكذلك الفجيعة بعده برحيل الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، ذوي الفضل الجلي، والقدر العلي: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وباقي الصحابة الكرام ﷺ، ثم التابعين، وتابعيهم، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ومضوا إلى ربهم وقد أدوا ما عليهم، فرحمهم الله ورضي عنهم.

وما زالت الأمة تُفجع بموت العلماء الربانيين، والدعاة الناصحين، في كل وقت وفي كل حين.

وها أنذا أسوق قصة موت عالمنا الجليل، الشيخ عمر رحمه الله، فأقول:

في شهر ذي الحجة من عام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة، ارتدى الشيخ رحمه الله ملابس الإحرام، وذهب ليؤدي مناسك الحج، ولسانه يلهج بالتلبية والتكبير، والتهليل والتحميد، ومرت أيام الحج، وينتهي الشيخ من حجه بلا رفث ولا فسوق ولا جدال ـ فيما نحسبه ـ، بل حجة على هدي النبي ﷺ، ثم بعد ذلك يتجه إلى منطقة القصيم؛ ليقضي الإجازة هناك.

وبعد أيام.. وفي صباح يوم السبت ١٨/ ١٢/ ١٤٢٢هـ، يستيقظ سائق الشيخ على تلك الضربات التي تطرق الباب.. فيفتح السائق الباب.. من الطارق؟!.. إنه الشيخ يحمل الإفطار لسائقه ويسأل عن أحواله وهل هو مستعد للسفر؟! فيقول السائق: نعم..

وفي ذلك اليوم يتجه الشيخ وأسرته مستقلين سيارتهم إلى مكة

المكرمة.. وقرب قرية رضوان يلاطف الشيخ سائقه ويمازحه ويبادله الحديث، وبعد دقائق معدودة إذا بإطار السيارة ينفجر.. ويقع الحادث المؤلم.. وإذا بالحال تتغير.. أصيب الشيخ في رأسه، وبقي بعد الحادث قريباً من نصف ساعة وهو يتشهد ويحمد الله ويذكره، حتى دخل في غيبوبة، ثم نُقل الشيخ وأسرته إلى مستشفى القوات المسلحة بالهدى، ورقد فيه أسبوعين كاملين، والناس خلال تلك الأيام مفجوعون بذلك النبأ، فلهجوا بالدعوات إلى الله سبحانه بأن يشفيه، وقد حزن الكثير لهذا الخبر، حتى لقد رقدت قلوب بعض محبيه معه على السرير الأبيض، وهم في شتى المناطق.

ثم قضى الله قضاءه، واسترد وديعته:

ولا يُـــرد مـــا بـــه الله قـــضى وكـل أمـر في الكتـاب قـد مـضى

ففي عصر يوم الجُمُعة الأول من شهر الله المحرم لعام ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين للهجرة، حل الأجل مكان الأمل، وجاءت المنية:

وإذا المنيـــة أقبلـــت لم تثنهـــا خيـــل مطـهمـــة ولا أمـــوالُ

***

ومـــن نزلـــت بـساحتـه المنايـــا فـــلا أرض تقيـــه ولا سمـــاءُ

طويت تلك الصفحات الزاهية.. وكان أمر الله قدراً مقدوراً.. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، و ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨).

ثم أُعلنت وفاته عبر وسائل الإعلام في بيان من الديوان الملكي نصه:

(بيان من الديوان الملكي

انتقل إلى رحمة الله تعالى اليوم الجمعة في مستشفى القوات المسلحة بالهدا فضيلة الشيخ الدكتور/ عمر بن محمد السُّبَيِّل أحد أئمة وخطباء المسجد الحرام عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عاماً، إثر حادث مروري تعرض له على طريق الطائف الرياض السريع، وسيُصَلى عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم السبت الموافق ٢ محرم ١٤٢٣هـ إن شاء الله، نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)).

وجاءت الجنازة قبل أذان العصر في يوم السبت.. تحملها أيدٍ فتَّ من قواها حزنٌ عميق.. وكمدٌ شديد.. وترنو إليها أبصار أغرق محاجرها دمع غزير.. وتترحم عليه ألسنة لجلج عباراتها عبرات لها أزيز في الصدور.. ونحيب في النفوس..

لم يتصور الناس أن ذلك الإمام الذي كان يدخل كل يوم لصلاة العصر ببشاشة وبشر وأريحية.. فيُصلِّي بالناس العصر ثم يصلي على الجنائز.. أن يُصلى عليه ذلك اليوم مع الجنائز..

وُضعت الجنازة في الحِجْر الذي طالما جلس فيه الشيخ قبل أن تقام الصلاة، ثم أقيمت صلاة العصر، وبكاء الناس يُسمع أثناء الصلاة من سماعات الحرم.. وبعد صلاة العصر.. نادى المنادي: الصلاة على

الأموات.. وصلى على الشيخ سماحة والده..

ثم بعد الصلاة وقف المحبون على الأقدام.. وتزاحمت الأكتاف.. وتلاصقت الرؤوس.. لتحمل ذلك النعش الذي حمل على أعواده الإمام الراحل:

جسدٌ لُفِّف في أكفانهِ رحمة الله على ذاك الجسدْ

وها هو النعش يتهادى على الرؤوس والأيدي.. ولا تسل عن الزحام عليه.. فقد قُدر عدد الذين شهدوا الجنازة أكثر من نصف مليون مسلم.. ويا له من يوم لو صاح فيه صائحٌ بحكمة لصاح بمقولة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز».

يا نفس عزي في المصيبة أمةً مكلومةً بالحزن والآلام
عزّي وقولي للخليقة قولةً ميعادنا بجنائز الأعلام

***

هذي وفود الرضى جاءتك باكية وهؤلاء ملايين الورى حضروا

ثم توجهت تلك الحشود الكبيرة إلى مقبرة العدل، وقد تأخر وصول الجنازة إلى المقبرة لشدة الزحام، حيث خرجت من الحرم عند الساعة الرابعة والثلث، ولم تصل إلا قرابة الخامسة، رغم أن المسافة من الحرم إلى مقبرة العدل قرابة سبعة كيلومترات.

وقد حضر الدفن أصحاب المعالي والفضيلة العلماء وكبار المسئولين وأئمة المسجد الحرام وبعض أئمة المسجد النبوي وطلاب الشيخ ومحبيه.

ثم غابت شمس ذلك اليوم.. وغاب معها العالم المحبوب..

مـضـى لجيـرة أعـلام جهابـذة

في تربـة «العـدل» قد ضمتهـم الحفرُ

***

قلـــبِ قلـــبِ أوجعـــكْ مـــا تعـــدى فضعـــضعكْ

شـــيخنا ضـــمك الثـــرى وطـــوى المـــوت أجمعـــكْ

رحـــم الله مـــصرعكْ بـــرد الله مـــضجعكْ

فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ولـيس لنـا إلا الـصبر الجميـل والرضـا والتسليم..

فللـه مـا أعطـى ولله مـا جَـرَى ولـيس لأيـام الرَّزِيّـة كالـصبْرِ

***

هـوّنْ عليـك ولا تُوْلَـعْ بإشْفَـاقِ فـإنما أمرنـا للـوارِثِ البـاقِي

وقد قام بالعزاء في الفقيد جمع كبير، بدءاً بولاة الأمور، والعلماء، والوجهاء، فقد اتصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ ـ ولي العهد آنذاك ـ بصاحب المعالي والد الفقيد وقدم له ولإخوانه وأبنائه العزاء، وقام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد ـ النائب الثاني آنذاك ـ ـ حفظه الله ـ، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ـ حفظه الله ـ وصاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رحمه الله وعدد من أصحاب السمو الأمراء، وأصحاب المعالي الوزراء، وأصحاب الفضيلة العلماء، وجمع غفير من الناس بزيارة معالي والده في

منزله وتقديم العزاء له ولإخوانه وأبنائه.

وكانت الجموع الغفيرة تأتي للعزاء، وقد اضطر معها المرور لإرسال دوريات لتنظيم حركة السير.

وإن مما يهون من ألم المصاب، ويخفف من مرارة الفاجعة، تلك البشارات الحسنة للشيخ رحمه الله وعلامات حسن الخاتمة:

بشائر بختام طيب حسن وشاهد من شهود الفوز معتبرُ

عزاؤنا فيه ما أبقاه من عَبَقٍ لسيرة يتمنى مثلها البشرُ

ومن تلك العلامات:

١. نطقه بالشهادة قبل دخوله في الغيبوبة التي لم يَصْحُ بعدها، وقد كانت آخر كلامه من الدنيا، والنبي ﷺ يقول: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) (أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن)[1]، وعند الإمام أحمد: (من قال لا إله إلا الله خُتم له بها دخل الجنة).

٢. وفاته يوم الجمعة، وقد قال النبي ﷺ: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) (أخرجه أحمد والترمذي)[2].

٣. ما شوهد من ثناء الناس عليه ومدحه وكثرة المشيعين لجنازته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُر على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال: (وجبت)، ثم مُر بأخرى فأثنوا عليها شراً ـ أو قال غير ذلك ـ فقال: (وجبت)، فقيل: يا رسول الله، قلت لهذا (وجبت)، ولهذا (وجبت) قال:

---

(١) حسنه الألباني في «أحكام الجنائز» (٤٨).

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (٥٠).

(شهادة القوم، المؤمنون شهداء الله في الأرض) ((رواه البخاري ٢٦٢٤) (ومسلم ٢٢٠٠) واللفظ للبخاري).

وفي زيادة للحاكم: (إن الله وملائكته تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر).

وعن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) (أخرجه مسلم)[1].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع) (أخرجه ابن ماجه)[2].

وعن كلثوم الخزاعي ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أني قد أحسنت وإذا أسأت أني قد أسأت؟ فقال رسول الله ﷺ: (إذا قال جيرانك: قد أحسنت فقد أحسنت، وإن قالوا: إنك قد أسأت فقد أسأت) (أخرجه ابن ماجه)[3].

قال الألباني رحمه الله: «الثناء بالخير على الميت من جمع من المسلمين الصادقين، أقلهم اثنان من جيرانه العارفين به من ذوي الصلاح والعلم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٢).

موجب له الجنة ـ بفضل الله ـ[١]».

وفي العموم، فإن الموت على عمل صالح دلالة خير، لاسيما من وعى صدرُه القرآن، قال ابن هانئ للإمام أحمد: «ما معنى: (لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار)؟ قال: هذا يُرجى لمن القرآن في قلبه أن لا تمسه النار»[٢].

٤. الرؤى التي رؤيت في الشيخ رحمه الله وهي بشرى خير، وهي كثيرة جداً، من أبرزها ما ذكره فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الكبيسي عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة أم القرى: أنه رأى الشيخ رحمه الله في المنام بعد صلاة الظهر من يوم السبت ـ يوم الصلاة عليه ـ في حال حسنة، فقال الشيخ عمر مخاطباً الشيخ أحمد: لماذا يبكي الناس علي وأنا الآن في الفردوس الأعلى.

وذكر الشيخ فواز القايدي مدير معهد الحرم المكي عن امرأة زكاها في صلاحها: أنها رأته رحمه الله بعد وفاته مسجى بغطاء أبيض ورسول الله ﷺ يمسح عليه.

وذكر أيضاً عن امرأة أخرى: أنها رأته يخطب في الحرم بعد وفاته، وتلك إن شاء الله بشرى باستمرار أجره وعمله.

وذكر فضيلة الشيخ الدكتور ناصر العمر الداعية المعروف: أن امرأة

---

(١) «أحكام الجنائز» (٦٠).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٢٠).

من قريباته رأت في المنام قبل وفاة الشيخ رحمه الله أن غُرفاً حول الكعبة تُبخر، فسألت لمن هذه؟ فقالوا: لصالح أو لعالم سوف يأتي.

فهذه بعض الرؤى التي تبشر بالخير للشيخ، وذكرها إنما هو من باب الاستئناس، فإنا نرجو له الخير فإن من منهج أهل السنة أنهم يرجون الخير للمحسن، ويخافون على المسيء، ولا يحكمون لأحد من أهل الملة بجنة ولا نار إلا من أخبر عنه الرسول ﷺ.

وقد سُميت إحدى الشوارع بحي العوالي بمكة المكرمة باسم الشيخ، وكذلك سُميت قاعة المناسبات بكلية الشريعة بجامعة أم القرى باسم فضيلته رحمه الله.

رحم الله شيخنا أبا أنس وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة

تخلى عن الدنيا وأبقى مآثراً ... يقر لها بالفضل كل لسانِ

فإن يك أودى فهو حيٌّ بفضله ... ومن كان مذكوراً فليس بفاني

يعاشر بالحسنى فإن ريب لم يفُه ... بسوء ولم ترمز له شفتانِ

إذا قال كان القول عنوان فعله ... ويا رُب قول نافذ كسنانِ

خلالٌ يفوح المسك عنها محدثاً ... ويثني على آثارها الملوان

فلا غرو أن تدمى العيون أَسافةً ... عليك ويرعى الحزن كل جنانِ

الفصل السابع

أبرز ما قيل في الشيخ الجليل

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أبرز ما قيل فيه نثراً.
- المبحث الثاني: أبرز ما قيل فيه شعراً.

المبحث الأول

أبرز ما قيل فيه نثراً

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله

يوجه برقية عزاء لمعالي الشيخ محمد السبيل

وجه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود برقية عزاء ومواساة لمعالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل فيما يلي نصها:

معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد.

فلقد كدرنا أشد الكدر نبأ وفاة نجلكم الشيخ الدكتور عمر إمام وخطيب المسجد الحرام، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى أولاده وجميع أسرتكم بأحر تعازينا ومواساتنا لنبتهل إلى الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته وأن يلهمكم الصبر ويجزل لكم الأجر والحمد لله على قضائه وقدره.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

فهد بن عبد العزيز

خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله -

يعزي في وفاة الشيخ عمر السبيل

وجه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز برقية عزاء ومواساة لمعالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل فيما يلي نصها:

معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد بلغنا نبأ وفاة نجلكم الشيخ الدكتور عمر إمام وخطيب المسجد الحرام وكدرنا ذلك أشد الكدر.. وإننا إذ نبعث إليكم وإلى أولاده وجميع أسرتكم بأحر التعازي والمواساة لنسأل الله ﷻ أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته وأن يلهمكم الصبر ويهبكم جزيل الأجر والحمد لله على قضائه وقدره.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

عبد الله بن عبد العزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد يواسي الشيخ محمد السبيل

وجه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد برقية عزاء ومواساة لمعالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل فيما يلي نصها:

معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد.

فقد بلغنا نبأ وفاة نجلكم الشيخ الدكتور عمر إمام وخطيب المسجد الحرام وكدرنا ذلك أشد الكدر وإننا إذ نبعث إليكم وإلى أولاده وجميع أسرتكم بأحر التعازي والمواساة نسأل الله ﷻ أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته وأن يلهمكم الصبر ويهبكم جزيل الأجر والحمد لله على قضائه وقدره.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

سلطان بن عبد العزيز

العالم الشاب عمر السُّبيِّل رحمه الله
صريح في لباقة، طيب في حزم، ناصح في أدب

لمعالي الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس الشورى وعضو هيئة كبار العلماء

وإمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله هدم بالموت مشيد الأعمار، وجعله راحة لعباده الأبرار، ينقلهم به من دار المتاع إلى دار القرار، له الحكمة البالغة في تصريف الأقدار، سبحانه لا إله إلا هو قدر الآجال بعلمه، وأجراها بحكمته، يقول عز شأنه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)، ويقول سبحانه: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الدخان: ٨).

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع وهو الحكيم العليم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصاب بعده جلل، وبموته عليه السلام يتعزى كل مصاب؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤-٣٥).

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، وأصحابه الأئمة الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ومن على نهجهم سار.

أما بعد: فإن أهل العلم أمناء الله في خلقه، والواسطة بين الرسول وأمته، هيأهم الله لحفظ ملته، الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإلى الدين نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى المختلف من الآراء، هم المأمونون العدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحماته.

إذا ادلهمت الأمور فإليهم ـ بعد الله ـ الرجوع، وما حكموا به فهو المقبول والمسموع، هم المحدِّث النبيه، والعالم الفقيه، والقارئ المتقن، والخطيب المحسن، والواعظ الصالح، والداعية الناصح، قبلوا شريعة المصطفى قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً، ثبتوها فرعاً وأصلاً، فكانوا أحق بها، وكانوا لها أهلاً، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، هم الحفاظ لأركانه، والقوامون بأمره وشأنه.

لهم أرفع مكانة، وأجل مرتبة، بهم ـ بإذن الله ـ تنقشع الظلمات، وتندفع الشبهات، وتنعم البلاد، وتهدى العباد، يستظهرون المتون، ويجيدون الفنون، ويقومون لله قلباً وقالباً، واعتقاداً وعملاً.

اختصهم ربهم، فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقههم في الدين، وفضلهم عل سائر المؤمنين، رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال والحرام، والحق والباطل، والسنة والبدعة، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، بهم بإذن الله تحيى قلوب مريدي الحق والهدى، وتموت قلوب أهل الزيغ والهوى، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة.

هم في الأرض كنجوم السماء، تهدي في ظلمات البر والبحر، هم ورثة

الأنبياء، تقوم بهم على الناس الحجة، فقهاء الدين، ودعاة الأمة، وأعلام الملة.

يحيون من معالم الدين ما اندرس، ويوضحون للناس ما التبس، أنوارهم باهرة، وفضائلهم زاهرة، هم الموقعون عن رب العالمين، والمتمسكون بسنن المرسلين.

أيها الناظر الكريم: إن هذا التذكير بأهل العلم، وإيراد الشذرات من فضلهم، والتنبيه إلى علو مقامهم، وعظيم أثرهم، لما تعيشه الأمة في أزمنتها المتأخرة من مصائب، تكالبت فيها عليها الأمم، وتداعت عليها النكبات، وانتقصت من أطرافها، وديست مهابتها، ولئن كانت هذه المصائب تتفاوت وتختلف شدة وقوة، وسعة وكثرة، ولكن من الملفت في هذا الخطب المدلهم تهاوي كواكب من أهل العلم.

نعم.. لقد ابتلينا بفقد جملة من علمائنا الربانيين، كانوا مصابيح دجى، وشموس هدى، يستأنس بهم في الوحشة، ويستضاء بهم في الظلمة، غيابهم نكبة، وموتهم مصيبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والله إنه ليخشى على الأحياء بعدهم من الفتنة (اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم).

كم فات من الخير بوفاتهم، وكم من حسرة على فراقهم.

وإذا كنا نتحدث عن مصائب الأمة، وعن عظيم الأسى بفقد علمائنا وأئمتنا، فإن من حق الأمة وحق الخلف من بعدهم، أن يحفظوا لهم حقهم، وأن يسيروا على الصالح من أثرهم وهديهم.

فإن من علامة الخير للأمة بعامة، وللخلف بخاصة، أن يلتفوا حول علمائهم، وإنه من خير المقاصد بعد وفاتهم؛ حفظ حقهم، والحفاظ على تراثهم، وإبراز المضيء من حياتهم، لتبرز المثل، وتتحقق القدوة؛ لأن دراسة سير العلماء، وإبراز محاسنهم في غير غلو ولا غمط، هو الدرس المهم، والغاية المطلوبة، فبرهان المحبة الحقة الاتباع على الحق، ونحسب أن هذه القلة من أهل العلم والفضل، الذين اخترمتهم المنية، في فترة زمنية متقاربة، من العلماء الربانيين، من ورثة الأنبياء، أعلاماً يقتدى بهم، وعلماء يقتفى أثرهم، وتبرز مآثرهم. ولا نزكي على الله أحداً فهو سبحانه أعلم بمن اتقى.

ولقد انضم إلى هذه الكوكبة العالم الشاب، الحافظ، الفقيه، الشيخ، الإمام، أبو أنس عمر بن محمد السبيل رحمه الله رحمة واسعة.

فلله الحكمة البالغة في أن تخترم المنية هذا العالم الشاب ليلحق بهذا الركب من الشيوخ.

إن الرزء بفقد الشيخ لعظيم، والمصاب به لجلل، فلله كم عطفت له القلوب، ووضع له من القبول.

إن المكانة التي اكتسبها الشيخ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته في قلوب الناس من دلائل فضله وإخلاصه، وحسن صلته بربه إن شاء الله.

لقد شرف الله منزلته، وأعلى مكانته، وتربع على عرش القلوب، والتف الناس حوله لما وضع الله له من القبول، لم يزدوج في شخصيته، فأحبه الجميع، وبرز في فاعلية التلقائية، وعمق البساطة، مما كان له دور كبير في تكوين رصيد وجداني في زرع الثقة لدى محبيه.

لقد كان يتمتع رحمه الله بتواضع جم، قل نظيره في نظرائه من طلبة العلم، لا يعرف عنه التعالي، كان ذا نفسية أريحية، وطباع كريمة، ونموذجاً لأصناف من الخير كثيرة، معلماً في المنهج والسيرة، يؤمه العلماء، ويحدثه البسطاء، للفقراء عنده مكانة، وللغرباء لديه منزلة، كريماً في قوله، نادياً في عطائه وبذله، ومع هذا التواضع، والبذل في النفس، والجاه، والمال، فقد كانت له هيبة لا تخفى، لم يتطلع إلى مناصب، ولم يمتنع عن الناس بحاجب.

يعالج الأمور بحكمة، وحسن بيان، وقوة إقناع، صريح في لباقة، طيب في حزم، ناصح في أدب.

لقد كان نموذجاً لعالم شامخ، تسنم ذروة في الرجال في صغر سن، وعلا قمة في الأفذاذ في قصر مدة، طويل الباع، واسع الاطلاع، علمه مقرون بحسن التدين، والورع، والعفة، وحسبك بعالم ورع عفيف.

عاش حياة حافلة بالخير، حياة علمية دعوية متوازنة، يرتبط فيها العلم بالعمل، ويقترن فيها الفقه بالخلق.

لقد كان داعية موفقاً، كما كان مشاركاً فيما يفيد؛ من مؤتمرات علمية، ومجامع فقهية، وحلقات فكرية، ومنابر وعظية، وندوات بحثية، له حضور متميز في الدعوة، والعلم، والفقه، والبحث العلمي، والنظر في قضايا المسلمين، وفي مشكلاتهم، ونكباتهم، وفي مخالفاتهم، وبدعهم، فكان ذا قلم إذا كتب، ومُوجِزاً إذا خطب، بناءً إذا نقد، حكيماً إذا أرشد، إذا تحدث أفصح، وإذا شرح أوضح، فلله در الشيخ كم أجاد، وأفاد، وكشف عن دقائق في الفقه، وأخرج ونبه إلى قواعد مثلى في الاستنباط.

عرف الشيخ رحمه الله منذ صغره بالصلاح، وحب العلم، وحسن العبادة، والمداومة عليها، والبعد عن المظاهر، تعلوه مهابة، ويلازمه وقار، لا يدخل فيما لا يعنيه.

دؤوب في طلب العلم وتحصيله، مشارك في كثير من فنونه، له تميز في الفقه وقواعده وأصوله، وله بروز في علوم العربية وآدابها، وعلم الأنساب، والمعرفة بالقبائل، وأصول الأسر والعائلات.

ولعل مما يفيد المطلع الوقوف عند بعض الصفات البارزة التي كان يتميز بها الشيخ رحمه الله فمن ذلك:

١- **حسن السمت:** ويراد به عند أهل العلم والأدب والحكمة: تناسق المظهر الخارجي للإنسان من طريقة الحديث، ومواطن الصمت، والحركة والسكون، بحيث يدرك الناظر التوازن والانسجام في كل ما يصدر عن هذه الشخصية، فينسب صاحبها لأهل العقل والحكمة والصلاح.

وحسن السمت، يكسب صاحبه الاحترام، والهيبة، والوقار، والقبول، ويدل على رجاحة العقل.

ومن اليسير أن تجد من يظهر عليه حسن السمت في زمن الاعتدال، ولكن كثيراً ما يخرج المرء عن حد الاعتدال، إذا زاد الفرح، أو أقبل الهم واشتد، فإنما الصبر عند الصدمة الأولى، ولا يتبين الرجال إلا في أوقات الفتن والشدائد.

والمؤمن العاقل لا يحب الفتن ولا يتمناها ولكن يسأل الله الثبات، وألا يزيغ القلوب بعد إذ هداها، وأحسب الشيخ رحمه الله كان من أوفر الناس

عقلاً، وأكثرهم اتزاناً، وأقواهم إرادة فهو ممن يظهر فيه حسن السمت، والتوازن، والاعتدال في أقرب كمالاته.

٢- **الفطنة**: وهي حسن التنبه لكل ما يعرض، كما أنها استعداد تام لإدراك العلوم بالفكر والتأمل، ويتجلى ذلك في ملاحظة لفظ المخاطب، وإدراك الغرض من خطابه.

والفطنة تنقذ صاحبها من المواقف الحرجة، وهذه خصلة ظاهرة في الشيخ رحمه الله تجنب فيها الكثير من المواقف المحرجة في أوساط الشباب وغير الشباب، كيف وهو شيخ الشباب، وعصرنا هذا ماج بكثير من الفتن والزوابع ولا سيما في أوساط الشباب، فكان الشيخ الشاب، طوداً شامخاً لم تهز له قناة.

٣- **علو الهمة**: الهمة العالية خلق رفيع يعشقه قلب الكريم، وتتطلع إليه النفس الكبيرة، والمرء يعلو قدره بحسب نصيبه من علو الهمة.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها متمسكاً بحبال الترقي صعداً في مراتب الكمال، منزجراً عن مواقف الذل والرضا بالدون.

والهمة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن أهل الحكمة والأدب خصوا الهمة بنهاية الإرادة، فالهم مبدؤها، والهمة نهايتها، وعلو الهمة في حقيقته هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، وعدم الاكتفاء بأوساط الأمور، والتضحية بما يملك، وبذل ما يمكن من غير امتنان ولا اعتداد، وإذا عظم المطلوب قل المساعد، وطرق العلا قليلة الإيناس، والهمة العالية توقظ صاحبها، فتبدله بالخمول نباهة، وبالحطة رفعة، وبالتعسة العمساء شجاعة وإقداماً.

وإذا كانت هذه هي الهمة العالية، وهذا هو علو الهمة فأحسب أن للشيخ أبي أنس رحمه الله من ذلك حظاً وافراً، ويدرك ذلك فيه من خبره عن قرب، وسبر نهجه وسلوكه، وحينما أدون ذلك فإنما أدونه للأجيال لتعلم أن علو الهمة لا يعني الكبر، ولا غمط الناس، وأن الهدوء، والسكينة، والتواضع، هما الرداء الجميل الفضفاض الذي تسكن فيه الهمة العالية.

٤- **الورع**: وهو ترك ما يريب، وتجنب ما يعيب، وإذا كان الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، فإن الورع ترك ما يضر في الآخرة، والأخذ بالأوثق، والتزام الأحوط، وترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس.

ومن سبر حياة الشيخ رحمه الله فهو مع صغر سنه، وطبيعة عصره، فقد أدرك عارفوه ومعاشروه مظاهر الورع في سيرته، في لحظه ولفظه وليس الورع النفرة من الناس، والعبوس في المقابلة، ولكنه عقل، وعلم، وحكمة محكمة بالدين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين، وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع؛ كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الموسومين ببدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما فيه من بدعة خفيفة، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع.

وأحسب أن الشيخ أبا أنس رحمه الله قد فقه ذلك كله واستبطنه علماً واستظهره سلوكاً.

٥- **قوة الإرادة:** وهي تهيؤ القلب والعقل معاً بعزم للقيام بالعمل المرغوب فيه، أو الكف عما لا يرغب فيه، ويتجلى ذلك في جانب الفعل بالمبادرة بفعل كل خير وكل مستحسن قبل وجود الموانع، وسلوك مسلك الجد، والحزم، والنظام في الأعمال، وفي جانب الكف يتجلى في نهي النفس عن الهوى، وكبح جماح النفس، والحلم عند الغضب، وتلقي الأحداث بالصبر، وعدم الحزن على ما فات، يضم إلى ذلك كله التفاؤل والبعد عن الضيق والتشاؤم.

فجميع ملكات الإنسان وقواه تكون في خمول حتى تحركها الإرادة وتبعثها، فقوة عقل المفكر، وذكاء العامل، وقوة العضلات، كل هذه القوى لا أثر لها في الحياة ما لم تدفعها قوة الإرادة، وكلها لا قيمة لها ما لم تحولها الإرادة إلى عمل.

والمرء ذو الإرادة القوية يقدم على ما قصد مهما كلفه من المشاق، ولا ترده العقبات.

وهذه الإرادة ـ بإذن الله ـ هي سر النجاح، وهي عنوان عظماء الرجال، فصاحبها يركب الصعب والذلول لتحقيق المطلوب، والأمر كله لله من قبل ومن بعد.

ومن عرف الشيخ رحمه الله لمس فيه من ذلك جوانب كثيرة، وليست قوة الإرادة بالاستكبار أو التطلع إلى المناصب، والمنافسة عليها.

والشيخ رحمه الله كان بعيداً عن ذلك، ولكنها كانت تأتي إليه تجرجر

أذيالها، وفي ظني أنه لو امتدت به الحياة لكان له معها شأن أي شأن، ولكن الله اختاره إلى ما عنده بمنه وفضله.

٦- **الاحتساب**: وهو ابتغاء الأجر من الله في كل ما يأتي العبد وما يذر، فيكون الاحتساب في عمل الطاعات، ويكون في الصبر على المكاره.

كما أن هناك نوعين من الاحتساب دقيقين وهما:

- الاعتماد على الله معيناً وناصراً.
- وحسن التوكل عليه وهو من أدق أعمال القلوب.

والشيخ رحمه الله فيه من الخير وسمت الصالحين ما نحسب أنه قد استبطن هذا المعنى، والله حسيبه ولا نزكيه على الله.

٧- **الإنصاف**: هو العدل في المعاملة قولاً وفعلاً، والإنصاف عزيز، وهو بين أهل العلم أشد عزة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن المعلوم أنه إذا وجد الإنصاف قلت دوافع الحسد، وزالت أسباب النفرة بين أهل العلم، ولكنها قد تستعر حينما يصل الخلاف إلى درجة التضاد، ولا يكون ذلك إلا إذا دخل النفوس الهوى، ومن ابتغى الحق وتحراه وتجرد له فسوف يجد نفسه منصفاً عدلاً، وسوف تنعطف عليه القلوب محبة وألفة وتعاوناً.

ولا أعرف أن الشيخ رحمه الله نازع أحد من أقرانه، فضلاً عمن هو فوقه، بل كان يحب العلم، ويتحرى الحق، ويحرص على الفائدة أنى وجدها رحمه الله وأحسن إليه.

هذا إبراز لبعض صفات الشيخ وجوانب من خصائصه.

والحق أن الشيخ رحمه الله كان متميزاً بصفات كثيرة ولا أزكيه على الله، وليس المقام مقام حصر ولا استقصاء، ولكنها أسطر وشذرات تغني إشاراتها عن كثير من عباراتها، والمقصود التذكير مع قصد التأسي والاعتبار والاقتداء.

فلله در الشيخ من معلم له تلاميذه ومحبوه، ولله دره من صاحب مؤلفات حسان ما بين كتاب، ورسالة، ومحاضرة، تشهد بعلو قدره، ودقة فهمه، وبعد غوره، وسداد فكره.

ولله دره كم أجاد وأفاد، وكشف عن دقائق الفقه، وأخرج من قواعده المثلى. كم فات من الخير بوفاته، وكم من حسرة بفراقه.

وبعد: فلقد جفت الصحف، ورفعت الأقلام، وثبتت الأقدار في مستقرها، وبلغت الآجال مداها، بعد أن قطعت الأزمنة ما قدر لها ربها.

وما كان لهذه الأقدار أن تتخلف عن مواقعها، وقد قدرها الله بحكمته، وأجراها بإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فأين المهرب وأين المفر، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، فمن مات على السنة فهنيئاً فقد حاز النعمة، واقتحم العقبة، والله هو الخليفة في كل باق، والوارث لكل منتقل، وهو خير الوارثين.

وفي الختام.. فإن ما حصل على الشيخ من حزن وحسرة حين الفراق، وما ظهر على الناس من أسى لهو علامة خير، ودليل صلاح إن شاء الله من حب الأمة لعلمائها، والتفافها حولهم. وأهل العلم أهل لذلك فهم

في الأرض كالنجوم في السماء، يهتدى بهم في الظلماء، ويقتدى بهم في العمياء، والحاجة لهم أشد من حاجة العطشى إلى الماء.

وإن من المخيف ما صح به الحديث أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، وينتشر الجهل، وفسر ابن عباس ﷺ "ذهاب العلم بذهاب العلماء".

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرحم الفقيد، وأن يسكنه فسيح جناته، وألا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده، وأن يغفر لنا وله. كما أسأله سبحانه أن يصلح عقبه، وأن يعوضهم خيراً وأن يجعل العلم، والخير، والصلاح فيهم جيلاً بعد جيل، وعقباً بعد عقب، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وحرره/ صالح بن عبد الله بن حميد

المقال في المجلة العربية

العدد ٣١٣ بتاريخ ١٤٢٤/٢/٢٨هـ

السُبَيِّل.. عالم شاب نشأ في طاعة الله

الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

عضو هيئة كبار العلماء

شاء المولى جل وعلا أن ينتقل إلى رحمته ورضوانه العالم، الجامعي، الفقيه الدكتور عمر بن الشيخ محمد السبيل، فقد كان ملئ السمع والبصر بين أهله وإخوانه، وزملائه، مثال الخلق الرفيع، والتواضع الجم، خطفته يد المنون من معشر يحبونه، يرون فيه أخاً كريماً، وعالماً جليلاً، وشخصية نبيهة منفتحة.

يوم الجمعة الأول من شهر المحرم عام ١٤٢٣هـ يومه الأخير في هذه الدنيا، يوم الحزن عليه، هو اليوم الفاصل بين حياة مليئة بالعطاء العلمي، والسلوك الفاضل، والمثالية في التعامل.

لم يكن هذا بالأمر المستغرب فيه وقد نال من عناية والده العلامة الشيخ محمد بن عبد الله سبيل ـ مثله مثل إخوانه الفضلاء والأدباء ـ من حسن الرعاية والتربية ما جعلهم نموذجاً في العلم، وحسن التعامل، والسلوك بين أقرانهم.

رحم الله الفقيد، فقيد العلم والمعرفة الدكتور عمر السبيل.

عرفه أقرانه متدثراً بالعلم، والنزاهة، وحسن السمعة، وهو من قبل هذا كسب احترام أساتذته يوم كان طالباً.

احتضنته كلية الشريعة بمكة المكرمة في قسم الدراسات العليا، لمس فيه أساتذته الحرص والجد، وحسن الصفاء، هادئ النفس، مطمئن القلب،

إذا تحدث يتحدث مفيداً، أو مستفيداً، مترفعاً عن الحديث في غيبة الآخرين، أو التعرض بهم في المجالس التي ليس لها حديث يشغلها إلا النَهش في أعراض العلماء وطلاب العلم، الأمر الذي أصبح ظاهرة سيئة في مجتمعات هي الأحرى أن تترفع عن هذه الخصلة السيئة التي ينبذها الإسلام والمسلمين، توج رحلته العلمية المشرقة بأحسن ما يتوج به طالب العلم رحلة طلب العلم بأمرين:

الأول: حفظ القرآن الكريم، وكان شيخ حفظه العلامة الحافظ الشيخ محمد أكبر المدرس بالمسجد الحرام، حتى حصل منه على إجازة القراءة في رواية حفص عن عاصم.

الثاني: إخراجه للساحة العلمية الفقهية كتاب (إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل) للعلامة عبد الرحيم بن عبد الله محمد الزريراني الحنبلي المتوفى عام ٧٤١هـ بالتحقيق والدراسة التي أهلته لدرجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف عام أحد عشر بعد الأربعمائة والألف من الهجرة. وقد طبعته الجامعة تقديراً للجهد العلمي المشكور الذي بذله فيه. هذه بداية فقيدنا الدكتور عمر بن محمد السبيل فقيد العلم والوطن.

بدأت البلاد التي صنعته على عينها تجني ثمار ذلك الفارس الذكي، فبدأ عطاءه العلمي مدرساً بجامعة أم القرى فكان صورة مشرقة، مشرقة في علمه، وسلوكه، وتعامله مع طلابه في أدب، وتواضع جم، فأصبح فخر أساتذته، بل فخر جامعته أم القرى به رحمه الله، ومثله العديد من زملائه، وأنداده المتخرجين من هذه الجامعة ممن هم صياغتها وصورة له.

كل تلك الصفات والخصائص التي تحلى بها العالم الجامعي، الشاب، الفقيه، الحافظ، الدكتور عمر السبيل رحمه الله تعالى أهلته لمناصب دينية، وعلمية، وإدارية رفيعة، هو أهل وكفء لها برغم صغر سنه بالنسبة لمن يتشرف بالعمل فيها، وصدق من قال: (المرء بأصغريه قلبه ولسانه).

فقد رزقه الله مع الكفاءة العلمية قلباً واعياً، ولساناً صادقاً وخلقاً رفيعاً، فحظي بشرف الإمامة والخطابة في أعظم مساجد الدنيا وأقدسها، المسجد الحرام، وهو شرف ديني، لا يعلوه شرف منحه المولى إياه.

تسلم المناصب الأكاديمية في جامعة أم القرى مدرساً، ورئيس قسم الشريعة عام ١٤١٤هـ، ثم وكيلاً لعمادة الكلية عام ١٤١٥هـ - ١٤١٧هـ، ثم عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

لم تطل فترة عمادته حينما رأى أن الشؤون الإدارية لا تساعده على تحقيق طموحاته، ولما لم يكن إلى ما يريده من تطور، ونهوض وتوسع، غادر العمادة طائعاً مختاراً، ليواصل جهوده العلمية في إيجاد كوادر علمية من أبناء هذه البلاد والوافدين إليها، وقد امتد نشاطه العلمي إلى خارج أروقة الجامعة إلى المسجد الحرام.

رحمك الله أبا أنس يوم كنت طالباً مثالياً، وأستاذاً جامعياً، وعالماً ورعاً متواضعاً، وفقيهاً متفتحاً، وإماماً وخطيباً من الخطباء الفضلاء بالمسجد الحرام، الأحياء منهم والأموات.

شخصية فذة في مثالية نادرة عزيزة يفتقدها عامة الناس في من بلغ المنزلة العلمية، والدينية، والاجتماعية، قريب إلى القلوب، رحمك الله من عالم فقيه، حافظ متواضع، بعيد عن التكلف والتصنع.

إن الوسط العلمي الذي فجع بوفاة هذا العالم الشاب الفقيه يتوجه إلى المولى الكريم أن ينزل عليه شآبيب رحمته، ويحفه برضوانه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. لقد فجع فيك أساتذتك، وزملاؤك، كما فجع فيك والداك، وأبناؤك، وإخوانك، وأقاربك، وأصدقاؤك، وولاة أمر البلاد، وما على الجميع إلا الصبر والاستسلام بقضاء الله وقدره، ولا أدري من المعزي ومن المعزى من هؤلاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجر الجميع في مصيبتهم، واجعل من أبنائه خير خلف لخير سلف، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقال في جريدة عكاظ

تاريخ ١٤٢٣/١/٥هـ

رحم الله الدكتور عمر السبيل

د. محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

عرفت الشيخ محمد بن عبد الله السبيل والد الدكتور عمر السبيل قبل أن يولد الدكتور عمر السبيل، وذلك عندما كنا نعمل معاً في المعهد العلمي في بريدة في عشر السبعينات من القرن الماضي، فعرفت فيه الخلق النبيل، والسمت الذي ينبغي أن تتحلى به المشايخ وطلبة العلم، فكان الشيخ محمد السبيل حفظه الله وزاده الله توفيقاً للخير مضرب المثل في ذلك، وهو ممن يصح فيه القول بأنه (مفتاح للخير مغلاق للشر).

ثم عرفت ابنه الدكتور عمر السبيل رحمه الله، أشبه الناس بوالده الجليل الشيخ محمد السبيل سمتاً وهدياً ومحبة في الخير، وقرباً من طلبة العلم.

وكان إلى ذلك كوالده محباً للمعرفة، ساعياً إليها، ليِّن الخلق، لطيف المعشر.

وقد بلغ منزلة في هذه الأمور المحمودة صارت معروفة مشهورة رغم كونه لا يزال في مرحلة الشباب.

وآل السبيل جددوا وقائع في الخير، منها أن يكون شخص وابنه في حياته إمامين معاً في المسجد الحرام، وهو موقع عظيم، فالشيخ محمد هو إمام للحرم معروف وقديم العمل فيه، وابنه الدكتور عمر صار إماماً في الحرم المكي الشريف في حياة والده.

والذي لا يعرفه كثير من الناس أن الدكتور عمر السبيل عريق في الإمامة، فجده والد والده عبد الله السبيل، كان إمام مسجد وظل في الإمامة دهراً، ولكنه ليس إماماً للمسجد الحرام، وعمه الشيخ عبد العزيز السبيل رحمه الله كان قاضي البكيرية، وكان قريباً جداً من شيخنا العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الذي يعرف عنه أنه يصطفي الرجال المحبين للعلم والبحث.

رحم الله الدكتور عمر السبيل رحمة واسعة وألهم والده العلامة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل وآله وأصحابه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة الرياض،

٣/١/١٤٢٣هـ

أقحوانة الحرم

للشيخ الدكتور عبد الوهاب الطريري

المشرف على المكتب العلمي بموقع الإسلام اليوم

كما الأقحوانة في نصاعتها وطيب شذاها ولطافة مظهرها كان هو، فقد تفتح وعيُه بين أروقة الحرم.

كان إيوان المسجد الحرام وصحنه ورواقه معاهد علمه، تنقَّل بين حلقاتها في مراحل تعليمه الأولى، وسني صباه الباكر، وعبَر مدارج الشباب في هذا النقاء، وأجواء الطهر تلك، منوراً بكتاب الله الذي أدرجه بين جنبيه في بدوات صباه وبكور عمره، فتفارطت سني شبابه لم تعرف له صبوة، ولم تحفظ عنه هفوة.

ثم جاء بعد إلى الرياض ليكمل المرحلة الجامعية فلقيناه وكانت صحبة، وعرفنا شمائله وخلقه في مرحلة الشباب الأولى، حيث لا حواجز ولا كلفة ولا تصنع بين الذات، فلو أردت أن أجمع صفاته في كلمة واحدة لم أجد أبلغ ولا أوجز ولا أصدق من العذوبة.

كان عذباً في حديثه، عذباً في خلقه، عذباً في معشره، لطيف النفس، موطأ الأكناف، بعيداً كل البعد عن التكلف المقيت، والتواقر الثقيل، ولكنها العذوبة واللطافة وحسن الخلق وطيب الحديث.

وكان شأنه في الرياض شأنه في الحرم، الصلة الوثقى بالعلم، والتنقل بين حلقه، يغدو في بكور الصباح إلى حلقة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعد الفجر، ويروح في المساء إلى حلقة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله بعد

المغرب، وفيما بين ذلك هو الطالب المنتظم المثابر في دراسته الجامعية، وكنت أراه في تلك الحلق كأشد ما أنت راء الطالب مهابة للشيخ وتوقراً له، وحرصاً على الطلب، وجداً في التحصيل، فإذا انقلب إلى أصحابه عادت إليه العذوبة والسماحة، وذاك اللطف والبشر المعهود.

ثم عاد بعد إلى مكة فأتم الدراسات العليا، وترقى في مدارج الحياة صعداً، أستاذاً في جامعة أم القرى، وإماماً في محراب الحرم، وخطيباً على منبره.

ولقد عرفته على مدار اثنتين وعشرين سنة شادياً في بدايات الطلب ثم عالماً وإماماً في الحرم، فما عرفت بين حالتيه فرقاً إلا مزيد التواضع، وحسن العهد، يطفح وجهه بشراً عند اللقاء، ويفيض عذوبة عند الحديث، ولا يطول بك المجلس معه حتى تتهمه بأنه يطوي جوانحه على نفس رضية، وقلب سليم، ولقد كنا نلتقي فنتحدث، والحديث ذو شجون.

فما أذكره قرض عرض مسلم، أو تكلف مالا يحسن، وعندما عبر الناس منذ سنين مخاضة القول عصمه الله بالورع، فحبس لسانه، ولزم سمته، ومضى إلى شأنه لا يحفظ عليه أحد كلمة يقول: ليته ما قالها.

وعندما عرضت عليه المشاركة في نافذة الفتاوى في موقع الإسلام اليوم تقبل الدعوة بقبول حسن، ووجدته سمحاً مجيباً، ووعد بها قبيل الحج، ثم كان أمر الله قدراً مقدوراً.

ولا ننسى بعد فجيعة الناس يوم أن فشا الخبر بمصابه، وتواصيهم بالدعاء له، وكانت رسائل الهاتف تصل ممن لا أعرفهم ولا يعرفهم تدعو له وتوصي بالدعاء، ثم شاء الله، وله الخيرة فيما يخلق ويختار، أن يتوفى

عمره، ويسترد وديعته، فمضى مذكوراً بالخير مستفيضاً عليه الثناء. وإنا لنرجو له ما نرجوه لمن أثنى الناس عليه خيراً فقال الله: وجبت، ونحتسب له عند ربه ما نحتسبه لشاب نشأ في طاعة الله، ولئن حزن القلب، ودمعت العين، وهاجت في النفس شجون، وثارت ذكريات وشؤون فإنا ننهنهها بالصبر الجميل، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا عمر لمحزونون، ولكن عزاؤنا أنك أفضيت إلى الرب الذي عبدته وعظمته، فركعت له وسجدت، وأحببت فيه وأبغضت، فرفع الله درجاتك في المهديين، وخلفك في عقبك في الغابرين، وجعل نزلك مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وسلام الله ورحماته وبركاته على أبي أنس الشيخ الدكتور عمر بن محمد السبيل.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة الرياض

بتاريخ ٨/١/١٤٢٣هـ

يرحمك الله يا أبا أنس

معالي الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا

وكيل الدراسات العليا بجامعة أم القرى - سابقاً -

مدير الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

فقدت البلاد عالماً من علمائها وفقيهاً من فقهائها، اجتهد في خدمة العلم وطلابه سنوات عدة، في الجامعة وفي المسجد الحرام واختير إماماً وخطيباً للمسجد الحرام منذ عام ١٤١٣هـ.

عُرف يرحمه الله بالتواضع والأدب الجم والخلق الحسن والقوة والحزم في مواضعه والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله والتواصل مع أفراد المجتمع مشاركاً لهم في أفراحهم وأحزانهم، ساعياً في قضاء حوائجهم قدر استطاعته، كما لم يعرف عنه يرحمه الله التعرض للناس والإساءة إليهم أو النيل منهم فضلاً عن زهده، وعدم حرصه على تولي المناصب الإدارية محدودية المدة الزمنية التي أمضاها في كل منصب، وقد زاملته في مجلس الكلية عندما كان رئيساً لقسم الشريعة ثم مديراً لمركز الدراسات الإسلامية.

ثم تشرفت بالعمل تحت إدارته يرحمه الله عندما عين عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة، ورغم قصر تلك المدة الزمنية التي لم تتجاوز الشهرين بسبب اعتذاره عن الاستمرار في العمل عميداً للكلية، فقد كان مثالاً للإخلاص والرغبة في تطوير الأداء.

وعندما وقع الحادث والذي نزل على أهله ومحبيه وزملائه نزول الصاعقة لمكانته العالية الرفيعة، تعلقت القلوب بالرجاء بالله ﷻ والأمل بأن يمن عليه بالشفاء العاجل، وتوجه الجميع بالدعاء إلى الله بأن يحفظه، أما وقد اختار الله وديعته فإننا لا نملك في هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله بأن يغفر له ويرحمه وأن يسكنه فسيح جناته، ويجعل منزلته في الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يجبر مصاب الجميع وفي مقدمتهم والده سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ووالدته وزوجته وذريته وإخوانه ومحبيه فالخطب جلل والمصاب عظيم، ولعل مما يخفف شيئاً ولو يسيراً من الحزن والألم على فراقه؛ تلك الجموع الغفيرة التي أدت الصلاة عليه وشاركت في تشييعه وتوافدت على منزل أسرته لتقديم العزاء.

رحمه الله رحمة واسعة وأنزل على قبره الضياء والنور والفسحة والسرور.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة البلاد

٤/١/١٤٢٣هـ

رحم الله أبا أنس

الشيخ فواز بن الصادق القايدي

مدير معهد الحرم المكي الشريف

رزئت الأمة في مطلع عامها الهجري الجديد ١٤٢٣هـ ومغيب شمس أول أيامه (يوم الجمعة المبارك) بأفول علم من أعلامها وفقيه من فقهائها، بكاه الحنابلة خصوصاً وطلاب العلم عموماً، عرفه المسلمون بالمسجد الحرام، إماماً، وخطيباً، ومعلماً متواضعاً، قد غشاه سمت العلماء في مشيته، وكساه رداء الصالحين في هيئته، وظهر تحقيق العلماء في رصين لفظه، له البصر الثاقب في النوازل، والوسطية في المسائل، ولا يعجب الناظر من تلك الصفات المحمودة أن تمثل في شخصه رحمه الله، فهو جذوة من قبس والده سماحة شيخنا محمد بن عبد الله السبيل ـ حفظه الله ـ وأعظم له المثوبة والأجر ـ فسماحة الوالد مدرسة بحق يتعلم منها الأجيال، ويقتدي بها عظماء الرجال.

إن وفاة صاحب الفضيلة الدكتور عمر بن محمد السبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله، فاجعة مؤلمة، ونازلة مفجعة، لا عاصم لها إلا التحلي بالصبر والمصابرة والاستكانة لأمر الله سبحانه وتعالى، وأن يعرف العبد حقيقة الدنيا وأنها دار كرب وعناء، ودار هذه صفتها لا يؤمل راحة فيها، ولا يرجى زوال مكدر منها.

إن وفاة الشيخ عفا الله عنه ثلمة في مذهب الحنابلة، فقد عرفه أهل العلم خبيراً بروايات المذهب، عالماً بالمشهور منه مدركاً للراجح من أقواله

مع عناية تامة بالصناعة الحديثية، حيث لم يهمل هذا الجانب رحمه الله.

إن معهد الحرم المكي الشريف لتئن جنباته حزناً ولوعة وأسى لفراق علم من أعلام الحرم وطالب عبقري من طلابه، مكث ردحاً من الزمن تحت أروقته ينهل من معينه علماً شرعياً مباركاً فقه ذلك على أكبر مشايخه - سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله وفضيلة الشيخ عبد العزيز السبيل رحمه الله.

إني لأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يبارك في ذريته ويحيطهم بعنايته، ويرزق أنساً ومحمداً وسائر أخواتهما التقى والعلم والصلاح، كما نسأله سبحانه أن يرحم أبا أنس رحمة واسعة ويقدس روحه، وينور ضريحه، ويلهم أهله وذويه صبراً جميلاً وأجراً عظيماً.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

المقال في صحيفة الندوة

بتاريخ ١١/١/١٤٢٣هـ

عمر السبيل أحد كوكبة العلماء

الشيخ الدكتور عبد الله الدميجي

عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى - سابقا -

مما لا شك فيه أن موت العلماء ثلمة في الإسلام، وقد رزئت الأمة الإسلامية في هاذين العامين الأخيرين على وجه الخصوص بفقد كوكبة من كبار العلماء.

وكان قدر الله المحتوم قد قضى أن يكون فضيلة الشيخ عمر السبيل أحد اللاحقين بهم. فنسأل المولى ﷻ أن يحشرنا في زمرتهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. كما نسأله تعالى أن يلحقنا بهم غير مبتلين ولا مفتونين.

وفضيلة الشيخ الدكتور عمر قد عرفته أخاً وزميلاً في الدراسة، ثم أستاذاً جامعياً ثم إدارياً ومسؤولاً.

وكان عمر الطالب هو عمر الأستاذ هو عمر العميد لأعرق كلية في المملكة هو عمر إمام وخطيب المسجد الحرام، لم تغيره الألقاب ولم تؤثر فيه المناصب، وهذا هو ديدن العلماء.

كان رحمه الله غزير العلم جم التواضع، سليم القلب، قليل الكلام إلا فيما ينفع. ولا غرابة في ذلك، فهو نسل أسرة عريقة في العلم والفضل.

ولا شك أن فراق الشيخ صعب ولكن ما عند الله خير وأبقى، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وبهذه المناسبة فإني أقدم أحر التعازي وصادق المواساة في الفقيد الغالي لوالد الجميع سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، وكافة إخوان الفقيد وأسرته الكريمة.

كما أقدم تعازينا القلبية لأئمة وخطباء المسجد الحرام ولمعالي مدير جامعة أم القرى ولكافة منسوبيها وطلاب العلم وعموم المسلمين في كل مكان.

سائلاً المولى ﷻ أن يجعل منازله في الفردوس الأعلى من الجنة وأن يخلف له في عقبه بخير وأن يعظم الأجر ويجبر المصاب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

صحيفة المدينة

بتاريخ ١٤٢٣/١/٤هـ

الإمام الشاب فقيد الأمة

د. عبد الله محمد حريري

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

عندما علمت بخبر الحادث الذي وقع للشيخ عمر السبيل تألمت وتألم الكثير معي ألماً شديداً، وكنت السائل عن أخباره، ومتابعها باستمرار؛ لأن زيارته كانت غير مسموحة لحالته الصحية، فدعونا ودعا كل من في الحرم أن يعجل الله بشفائه، وكان الكل يترقب، وكأن أمراً سيحدث، لأنك من تسأله يجيبك بالدعاء له، والكلمات تخرج مثقلة، وجاءت الفجيعة الكبرى بخبر الوفاة، فالكل بكى، وتألم، ووقف مصدوماً بهذا النبأ الذي كدر الجميع، وقد تحجرت الدموع في أعين الكثير مذهولين من أثر هذه الصدمة العنيفة.

لكن هل الإنسان يملك شيئاً لنفسه فهذه حال الدنيا لكل كائن (حي).. تعددت الأسباب والموت واحدُ...

إن فقيد الأمة عامة، والمجتمع السعودي خاصة، الشاب الإمام تربطنا به علاقة حميمة ولقاءات كان أكثرها في المسجد الحرام، وعندما يطل علينا من (الحجر) ليؤم المصلين صلاة العصر بذلك الوجه النوراني مرتدياً (بشته) الذي كان كثيراً لارتدائه له ذا اللون (الأبيض) يبدأ مسلماً على الجميع بتحية الإسلام قبل البدء في الصلاة، وبعدها سباقاً للمصافحة كل من خلفه، ومن يريد السلام عليه، تراه يمشي مشية خفيفة هادئة يقف لكل

من يريد السلام عليه، هادئاً في حديثه، محباً لفعل الخيرات، مناقشاً في حوار هادف، فكم جلسنا سوياً في حرم الله الأمين وتحدثنا طويلاً كلما تهيأت الظروف.

إن الحرم المكي الشريف ليشهد لك أيها الإمام الشاب مواقع عديدة قد صليت بها (عند باب أجياد، خلف المكبرية، عند باب الصفا، في الحجر، وكرسي درسك ليومين من كل أسبوع عند باب إبراهيم).

لقد جمعت صفات متعددة، أدباً، وخلقاً، وتواضعاً، ومكارم أخلاق، كانت قضايا المجتمع تستحوذ فكرك، فتناولتها خطيباً في يوم الجمع، فكم تحدثت عن العلم والمعلمين، وصلة الأرحام، وأداء الصلاة، وكثير من القضايا التي لها جانب كبير من الأهمية في المجتمع.

كنت تناقشنا فيما يسر الله لنا من الكتابة في الصحف، فأسألك أقرأتها فتجيبنا أن ما أكتبه هو من ضمن قراءتك، إذا أقبلت مسلماً عليك تقف فأخجل من ذلك؛ لأنك إمام حرم الله الآمن، فتجيبنا: إن لم أقف لك أقف لمن؟!..

هذه كلمات ستظل خالدة في ذاكرتي، وكثير من الآداب التي لا تسمح المساحة بذكرها.

إن الأمة الإسلامية، والمجتمع السعودي، وسكان مكة المكرمة، وجيران البيت الحرام يرفعون أيديهم لخالقهم أن ينزلك منزل الصديقين والشهداء، وأن يختم لنا هذه الحياة بخير، يا محب المساكين والضعفاء، وإننا يا أبا أنس نسأل الله ﷻ أن يجعل خلفاً خير خلف لك، فكما قال فضيلة

الشيخ محمد السبيل إمام المشايخ: إنه قد أتم حفظ كتاب الله الكريم، فبارك الله لك فيك، ووفقه وإخوانه، فكم أنت غال على الجميع. وهذا ما أكده صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز عندما قال: فقدنا أعز أبنائنا.

فنسأل الله لك الرحمة والمغفرة، ولا نملك أن نقول إلا كما علمنا ربنا ﷻ وكما وجهنا إليه سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

سائلاً الله ﷻ أن يوفق من يقوم بطباعة خطبك الجمعية، والمحاضرات، واللقاءات، التي ألقيتها في الداخل والخارج لتكون مرجعاً تضاف إلى المكتبة الإسلامية، لتكون علماً ينتفع به، وذلك مصداقاً لقول المصطفى ﷺ، والحمد لله من قبل ومن بعد.

صحيفة عكاظ

بتاريخ ١٠/١/١٤٢٣هـ

رحمك الله أبا أنس

د. عبد الله بن محمد الرميان

عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

الحمد لله على كل حال لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

الموت يفجعنا كل يوم بحبيب، ويوشك أن يدعونا كما دعاهم فنجيب، وهذه حال الدنيا، الركون إليها خطر، والثقة بها غرر، شديدة المكر، دائمة الغدر، أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، صفوها كدر، والمرء منها على خطر، إما نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو ميتة قاضية، آجال مكتوبة وأنفاس معدودة: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٩).

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها مخبراً ... حتى يرى خبراً من الأخبار

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكدار

مع غرة محرم وفي أول يوم من هذا العالم الهجري الجديد ودعنا وغادر دنيانا الشيخ الدكتور عمر بن محمد السبيل الذي بقي على سرير المرض أياماً ـ بعد الحادث الأليم الذي تعرض له مع أفراد أسرته ـ وكأنما هو ينتظر نهاية العام ليودعنا مع وداع العام الهجري لنا.

الأيام التي قضاها في غرفة العناية المركزة هي التي أظهرت لنا محبة الناس له وتعلقهم به، سؤال لا ينقطع، ودعاء لا يتوقف من أناس لم يقابلوه

أو يجالسوه، فكيف لو عرفوه؟ واطلعوا على خصاله الحميدة وأخلاقه الفاضلة.

خبر حادثه رحمه الله كان مفجعاً للجميع، لكن مصيبة فقده كانت بالتدريج فحالته الصحية المتردية من ساعة وقوع الحادث هي التي خففت من مصابه إذ تجرع أحبابه آلام فقده خلال فترة مرضه رحل أبو أنس رحمه الله وحمل معه أُنس أصحابه وزملائه.

كان رحمه الله يألف ويُؤلف، يُبادر إخوانه بالسؤال، يتواضع للصغير والكبير. إذا لقيته مرة أحسست أنك تعرفه منذ سنوات، ترى آثار أخلاقه الحسنة في بشاشته وابتسامته التي يقابل بها الجميع.

أمضى رحمه الله عمره في الخير، سلك طريق العلم من صغره، وحمل كتاب الله في صدره، فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار.

رحل في يوم مبارك، هو يوم الجمعة، نسأل الله تعالى أن يكون ذلك علامة خير والرسول ﷺ يقول: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر).

العزاء فيه لوالده معالي الشيخ محمد الأب المكلوم، جبر الله مصابه وألهمه الصبر والسلوان ولإخوانه وأبنائه وجميع محبيه، ونسأله سبحانه وتعالى أن يرفع درجته في المهديين وأن يخلفه في عقبه في الغابرين وأن يغفر لنا وله وأن يفسح له في قبره وينور له فيه.

صحيفة الجزيرة

٣/١/١٤٢٣هـ

السيرة العطرة

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي - الكويت

كنت أسمع بأخي الشيخ عمر السبيل وأراه عن بُعد، ولما تولى إمامة المسجد الحرام سنة (١٤١٣هـ) لقيته بعدها ثم انعقدت الصداقة والأخوة بيني وبينه فوجدته آية في الفضل واللطف والتواضع، ورقة الحاشية، وكمال الأدب والذوق، كما رأيته متمسكاً من التقوى بالسبب الأقوى، صديقاً صادقاً، وخليلاً وفياً موافقاً، كله هذا وغيره من الفضائل مضافاً إلى علمه ومعرفته، وقد أكرمني وشرفني بالزيارة في الكويت في آخر صفر سنة (١٤١٦هـ) ولقي فيها شيخنا العلامة محمد بن سليمان الجراح الحنبلي رحمه الله، وفي خلال هذه السنين القليلة عرفت فيها عن قرب أخي الشيخ عمر السبيل فرأيت فيه صفات العالم الأديب الذي يسعد الإنسان بمعرفته والقرب منه فهو الفقيه المتمكن في مذهب الإمام أحمد بن حنبل العارف بكتبه ورجاله كما يعرف أحدنا أهل بلدته وأقربائه؛ أما معرفته بتراجم علماء نجد المتأخرين وأخبارهم فهذا يكاد يكون من اختصاصه؛ كما أنك تجد عنده أخبار بعض العلماء الوافدين على مكة، وقد أخبرني ورأيته أكثر من مرة يفيد الفوائد فحينما لقي شيخنا الجراح كتب ما سمعه منه، وكذا لما جدد بناء الكعبة المشرفة رأيته يقيد ذلك؛ فسألته فقال لي: إني كتبت أخبار هذا التجديد يوماً بيوم، وبالجملة فإن أخي الشيخ عمر كان نموذجاً للعالم الدؤوب الذي يعمل بصمت وهدوء؛ ولا غرو فقد أخذ العلم من منابعه الأصلية حيث أخذ عن والده العالم الجليل الشيخ محمد السبيل العلم والتوجيه، كما حفظ القرآن الكريم في المسجد الحرام، وقرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الفقيه العلامة عبد الله بن حميد، والشيخ

عبد الله بن غديان، وعلم الفرائض على الشيخ عبد الفتاح راوه المكي، وأخذ طرفاً كبيراً في القراءات عن الشيخ سعيد العبد الله الحموي نزيل مكة المكرمة، وقرأ صحيح البخاري قراءة درس وعلم على الشيخ عبد الله الصومالي المكي أحد المتبحرين في علم الحديث، أما دراسة الأكاديمية فقد حصل على الشهادة الجامعية من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض؛ والماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة وقد كانت بعنوان: (أحكام الطفل اللقيط في الفقه الإسلامي) وأما رسالة الدكتوراه فهي تحقيق ودراسة لكتاب (إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل) لعبد الرحيم الزريراني الحنبلي المتوفى سنة (٧٤١هـ) من جامعة أم القرى أيضاً.

ولما قدر الله وعلمت بحادث السير الذي تعرض له ودخل على إثره العناية المركزة حزنت عليه أشد الحزن ولم تكف الأكف عن الدعاء له، ولكن قضاء الله وقدره نافذ ولا راد له، ثم لما سمعت الخبر بهذا المصاب العظيم والرزء الجسيم في غرة شهر الله الحرام سنة ١٤٢٣هـ نزل بي ما الله به عليم، ولم يسعفني الوقت للصلاة عليه في المسجد الحرام ولكن أدركت جنازته في المقبرة، ومكثت برهة أتذكر فقدنا لتلك الفضائل من الأخلاق الطاهرة، والمزايا والآداب الباهرة التي كان يتحلى بها أخي الشيخ عمر وما لقيته منه من المودة الأكيدة، والصحبة الحميدة التي قلّت في هذا الزمان:

كفى حزناً أني أمر بقبره فأمضي وقلبي بالأسى متكسّر

اللهم إنا لا نقول إلاّ ما يرضي الرب، ولكن العين تدمع والقلب يحزن، وإنا بفراقك يا أبا أنس لمحزونون، فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

الشيخ عمر بن الشيخ محمد السبيل... إلى رحمة الله

الشيخ الدكتور وليد المنيس - الكويت

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ د.عمر بن الشيخ محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام إثر حادث مروري وكان وقع وفاته جسيماً على المسلمين وعلى الأخص محبيه وطلبته وكل من عرفه رحمه الله.

نشأ رحمه الله في بيت علم وفضل فقد تربى في كنف أبيه شيخنا العلامة محمد السبيل الرئيس السابق لشؤون المسجد الحرام الذي يعرفه ويسمعه المسلمون أسبوعيا، إما في صلاته إماما في المسجد الحرام، أو خطبة الجمعة أو في فتاويه وإجاباته على أسئلة الناس في برنامج نور على الدرب.

ولقد تشرفت بمعرفة الشيخ د.عمر السبيل عليه رحمة الله عن قرب وتيسر لي الجلوس إليه وسماع حديثه وكلامه، كان رحمه الله دمث الأخلاق منخفض الصوت يعلوه الوقار، أصبح الوجه على محياه سيما التقوى والورع وأدب العلماء، لا يمل المستمع من حديثه وكان على معرفة بارزة في الراجح من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يتضح ذلك إذا ما سأله السائل أو تحاور معه طلاب العلم في مسائل فقه ومذهب أحمد. ولا عجب في ذلك فقد تفقه بعلماء هم من جهابذة هذا المذهب كالعلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، والعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وشيخنا العلامة عبدالله الغديان حفظه الله، ثم إنه حقق رسالة قيمة فروق المذهب هي (إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل) التي شرفني بإهداء نسخة منها بعد

طبعها على نفقة الجامعة، كما مارس تدريس العلم واعتنى رحمه الله بمتن (دليل الطالب) للعلامة مرعي، وقرأ عليه بعض طلاب العلم في الكويت وأثنوا على دروسه، حفظ القرآن في صباه في سن الخامسة عشرة في المسجد الحرام وحصلت له إجازات برواية حفص عن عاصم وشعبة، وكذلك إجازة بقراءة ابن كثير المكي براوية البزي وقنبل.

وقرأ في فقه الإمام أحمد ومذهبه على مشايخ مر ذكرهم ومنهم والده الشيخ محمد وعمه الشيخ عبد العزيز السبيل وغيرهم وكان لا يترفع عن الجلوس إلى العلماء كلما علم بوصولهم ويحضر دروسهم كما أخبرني بذلك من عرفه عن قرب.

وكان من أجمل وأكرم الأيام التي مرت بي عندما شرفني بزيارة في بيتي صباح الخميس ٣٠ شوال ١٤٢١هـ بمعية صديقه الشيخ محمد بن ناصر العجمي وأخبرني الشيخ محمد العجمي أنه كان حريصاً على هذه الزيارة التي سبقها شوق وتلهف للقائه فتيسَّرَتْ ذلك اليوم المبارك وحضر الدعوة ثلة كريمة من أهل العلم والفضل وذلك على وجبة إفطار صباح ذلك اليوم الكريم الذي دار فيه أجمل أنواع الحديث وأحسن الكلام والمذاكرة والكل يذكر أدبه الجم وحسن حديثه وتلطفه ورقة طبعه رحمه الله، وأذكر في تلك الجلسة أني عرضت عليه رسالة تحت التحقيق فتأملها وأبدى عليها ملاحظات قيمة ثم أنه لما عاد إلى مكة اتصل بي وأضاف ملاحظات مهمة استفدت منها كثيراً رحمه الله.

كما تشرفت مرة أخرى بزيارته في منزله العامر بدعوة كريمة منه وذلك في شهر رمضان المبارك الذي مضى في أوائل العشر الأواخر يوم الأربعاء ١٩ رمضان ١٤٢٢هـ وقت السحر وذلك لتناول طعام السحور على مائدته الكريمة، ثم إنه زادنا وغمرنا بفضله وإحسانه أن تفضل علي بإجازة من والده العلامة الشيخ محمد السبيل عن مشايخه مصحوبة بثبت وختمت بتوقيعه المنيف فلله تلك الليلة وتلك الجلسة، كما أجاز محمد بن ناصر العجمي أيضاً الذي يعود له الفضل بعد الله تعالى في ذلك.

وصفه أحد الطلاب ممن قرأ عليه في (دليل الطالب) للعلامة مرعي الكرمي بقوله: اتصف الشيخ عمر رحمه الله بصفات عرفتها من خلال القراءة عليه منها: سعة صدره وحسن شرحه وعدم ضجره وحسن ترحيبه بمن يزوره خاصة العلماء وطلاب العلم وتحمله للكلام حتى لو كان قاسيا، حدَثَ أن قام شخص وتكلم بشأن بعض الإجراءات في المسجد الحرام وشدد القول حتى في حق والده الشيخ محمد السبيل فكان الشيخ عمر لا يزيد على قول: ابشر.. نبلغه! (أي سيبلغ والده فيما قال الرجل من ملاحظات).

حرصه على الطواف حول البيت وكان يفعل ذلك إذا صلى بالناس العصر فإنه يطوف بالبيت الحرم قبل أن يغادر إلى مكتبه أو منزله.

كان يصوم الاثنين والخميس فيما ذكر عنه، كان يعطي السائل ويخفي عطاءه بطريق المصافحة حتى لا يراه أحد.

ومما يثلج الصدر أن ابنه أنس وفقه الله قد أتم حفظ القرآن الكريم على

خطى والده رحمه الله. ويقال أن المفتي العام في المملكة الشيخ العلامة عبدالعزيز آل الشيخ لما بلغه خبر وفاته قال: رحمه الله.. تتلمذ علينا.. لا ترى منه أذى!!

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يرحمه ويغفر له وأن يعظم أجر والده الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل، وأجر أهله وأبنائه وإخوانه، وكافة المسلمين، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

والحمد لله على ما قدر وقضى، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.. آمين.

رحمك الله يا شيخ الفضل والعلم

هاني بن عبد الرحيم الرفاعي

مدير الشؤون الشرعية بمستشفى الملك فيصل التخصص بجدة

وإمام وخطيب جامع العناني

نعم.. رحمك الله يا شيخ الفضل والعلم والخُلُق.. فما عرفناك إلا مثالاً لطيب الكلام وحسن السمت والإحسان، والقول المتواضع، تعلو طلعتك الابتسامة والسكينة، ويفوح فوك بالخُطب الجلية للخير سبَّاق ومعوان، ولمجلس التوجيه والإرشاد والعلم قريب. عرفناك شاباً ورحلت شاباً فكنت من القلب لكل يافع طالباً للعلم حبيب.

فنسأل الله الرحيم الكريم أن يجزيك عنَّا خير الجزاء، وأن يجمعنا بك وبعلماء المسلمين في دار البقاء، وأن يجزيك بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفواً وغفراناً، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة البلاد

١٤٢٣/١/٤هـ

فقدان شيخ فاضل في زهرة شبابه

عبيد الله الحازمي

تربطني بأسرة الدكتور عمر السبيل رحمه الله رابطة الجوار والزمالة.. حيث كان شقيقاه عبد الله، وعبد العزيز زملاء دراسة في المعهد العلمي الذي يقع بحي العتيبية بمكة المكرمة وكان والدنا الشيخ محمد السبيل عضو هيئة كبار العلماء وإمام وخطيب المسجد الحرام يوجهنا كأبناء له إلى كيفية التعلم بالنصح والإرشاد الذي جعلنا بفضل الله ثم بتوجيهات الشيخ السبيل نصل إلى مراحل تعليمية جيدة.

وكان الدكتور الشيخ عمر السبيل رحمه الله طفلاً وقتها لم يلتحق بالمدرسة وكنا نتوسم فيه الخير؛ لأنه كان يحفظ القرآن على يد والده الشيخ السبيل ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية فالجامعة.

وكان ملازماً لوالده حتى أنه لم يكن كثير الخروج من المنزل الذي كان يقطن فيه بشارع الجزائر، حيث يسكن والده وأسرته التي كانت أسرة علم ودين، حتى إن الشيخ السبيل ـ أطال الله عمره ـ كان يحدثنا في المسجد بالحي والشيخ عمر وهو صغير ملازم له.

وبعد انتقال الأسرة إلى حي العزيزية ثم العوالي كان رحمه الله متواصلاً مع جيرانه في الحي الذي عاش فيه منذ طفولته.

ولا أنسى موقفه ـ رحمة الله عليه ـ عندما كان يصلي على بعض الجنائز بالحرم وكنت ضمن الصف.. التفت نحوي وقال: عسى ما شر.. قلت له:

أنت صليت على الوالدة ـ رحمة الله عليها ـ وقام معنا ولازمنا حتى انتهينا من دفنها وهو يدعو لوالدتي بالمغفرة والثواب والأجر.. ودخول الجنة.. كان هذا الموقف الذي لا أنساه أبداً طوال حياتي من الشيخ عمر السبيل رحمه الله فيا شيخنا الشاب ـ رحمك الله ـ.

لقد عرفنا عنك كل خير من حسن التعامل والتعاطف والتسامح مع جيرانك وأحبابك ولكن قضاء الله وقدره.. فندعو لك بالجنة وقد شهدنا لك بالخير والصلاح وندعو لأسرتك بالصبر والسلوان..

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة الجزيرة

٣/١/١٤٢٣هـ

رحمك الله يا أبا أنس

عبد الغفور عبد الكريم عبيد

مدرس بالمسجد الحرام

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٧).

إن فراق الأحباب صعب، بل صعبٌ جداً إذا كانوا أمثال أخي وحبيبي الشيخ الدكتور عمر محمد السبيل الذي عرفته في حرم الله الآمن، وبخاصة في باب الزيارة.. رأيت ذات يوم وأنا في حلقة القرآن الكريم، وإذا بفضيلة الوالد الشيخ محمد عبد الله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام مقبل علينا ومعه شاب على وجهه نور، فسلما علي، وقال الشيخ محمد: هذا ابني عمر يريد أن يحفظ القرآن لديك في الحلقة، قلت له: على الرحب والسعة، وبقي هذا الشاب يحفظ القرآن حتى ما شاء الله، كبر الشاب ودخل الجامعة وتخرج منها وأصبح عميداً في كلية الشريعة وإماماً وخطيباً بالمسجد الحرام.. فو الله نعم الشرف ونعم المقام. وجدت الشيخ عمر وفياً متواضعاً، كان يسألني قبل أن أسأله، ويزورني قبل أن أزوره، محبوباً عند طلابه وأساتذته ومشايخه وأحبابه.

لقد شاء الله بعد حادث أليم آلمنا جميعاً في يوم الأحد ١٩/ ١٢/ ١٤٢٢هـ. قمت أنا وأخي الدكتور محمد عبيد بالتوجه لمستشفى الهدا، لكننا لم نستطع لتواجده بالعناية المركزة.. وجاء موعد الخبر الحزين

عبر الهاتف بوفاته الذي دمع عيني وقلبي.. رحمك الله يا أبا أنس وأسكنك فسيح جناته.

وبعد: فلا أدري من أعزي نفسي، أو أعزي والده فضيلة الشيخ محمد السبيل ووالدته وإخوانه وزوجته وأولاده حفظهم الله جميعاً من كل مكروه، نعم العزاء للجميع؛ لأنه كان محبوباً للجميع، فعزاؤنا قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) والحمد لله على السراء والضراء.

صحيفة الندوة

١٤٢٣/١/٥هـ

يا عمر تبكيك المنابر

د. حمزة بن سليمان الطيار

الحمد لله القائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وأصلي وأسلم على من قال له ربه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

وبعد: فخبر أليم، ونبأ حزين، أقلق الفؤاد، وأفجع البلاد والعباد، ألا وهو موت فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب
متى حط ذا عن نعشه ذاك يركبُ

****

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمولُ

إن فقيدنا المحمول، مجلسه غير مملول، والقلب بعده مهموم محزون، ومجروح ومكلوم.

يا عمر، تبكيك المنابر، ترثيك المآذن، تفقدك المعالم.

مواطن لله كم جلجل بها بالحق صوتك، وكم مشى على دربها شخصك، فلبثت سنين حتى ناداك المنادي، فأجبت الداعي، فنعاك الناعي، وبكاك القاصي، والداني، وكل رطب ويابس بالي.

دمث الأخلاق، مفتاح للخير للشر مغلاق، أخْرَست بقول الحق

الأبواق، فبالقلب لفقدك لوعة وإحراق، ورعد وإبراق، وعلى الخدين منه دمع مهراق.

إنه الموت لا يفرق بين الكرام واللئام، ولا الأحرار ولا الطغام، فهو مصير كل الأنام.

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي

عقيلة مال الفاحش المتشدد

****

كؤوس المنايا سوف يشربها الورى

على الرغم شبان وشيب وأكهلُ

لقد فنى يومك، وأفل نجمك، وغابت شمسك، وبكاك أبوك وأمك، وأولادك وعرسك، وأهلك ومجتمعك، لقد بكاك إخوانك وأخواتك، وأحبابك وخلانك.

نفوسنا مليئة بالأسف والحسرات، وألسنتنا تجيش بالنبرات، وعيوننا تفيض بالعبرات، وأذهاننا تنوء بالخطرات..

فيا أسفاً لفراقك، ويا أسفاً لذهابك، ليت شعري كم دهمنا بمصابك، أم كم فقدنا بغيابك، فيا ليت شعري هل لك رجعة؟ أم لك أوبة؟ ففي القلب أنة، وفي النفس زفرة، لكن هيهات هيهات ورب الكعبة، حتى تجيء النفخة.

إذا وجدت أوار النار في كبدي ... ذهبت نحو سقاء القوم أبتردُ

هبني بردت ببرد الماء ظاهرة ... فمن لنار على الأحشاء تتقدُ

فرحمك الله يا عمر، لقد حل بك أمر فيه عبرة لمن اعتبر، ومواعظ لمن ادكر، فأحسن الله بعدك الخلافة، وأورثك دار الكرامة، وجبر مصابنا بك ومصاب الأهل والقرابة.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صحيفة الرياض

١٤٢٣/١/٤هـ

عمر السبيل.. ما زال علمه أريجاً يضوع بيننا

محمد علي الصويغ

رحل عام بأيامه ولياليه وساعاته ولحظاته يصور أحداثاً مثيرة، ويعرض أخباراً كثيرة.

أبرزها حادث الحادي عشر من سبتمبر، وما عقبه من حروب طاحنة في أفغانستان.. ولا ننسى الاستحلال الفلسطيني في وجه العدوان الإسرائيلي، والحركات الاستشهادية الفدائية التي ألقت الرعب في قلب الكيان الصهيوني.

وتظهر مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ لتكون خاتمة مسك لعام مضى.. لكننا في مستهل هذا العام ـ ونحن نتعطش إلى البهجة والابتسامة نفجع بوفاة من نقش على صفحات الخلود اسماً ذاع صيته في كل مكان، وذكراً تغنى به كل لسان. (الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل) الذي مازال علمه أريجاً يتضوع في نفوس المسلمين، وخطبه رحمة تسكن في أفئدة الذاكرين، ومواعظه تضيء دروب التوبة للغافلين، وحديثه يوقظ قلوب اللاهين، وتلاوته تظل أملاً يبرد ظلمات اليائسين.

وحتى متى تبري الليالي سهامها؟ وحتى متى أرمي بها فأصاب؟

صحيفة الوطن
١٤٢٣/١/٥هـ

وداعاً.. شيخ التواضع

هاني اللحياني

في عصر الغفلة والانفلات..
وفي زمن الفتن والمغريات..
تبقى وفاة العلماء موجعة لحد الحرقة..
ومؤلمة لدرجة الفاجعة..
وخسارة يصعب تعويضها..
ومواقف كفيلة بذرف الدمع وبكاء القلب..
إلا أن مما يخفف وطأة الألم.. وحجم المصاب..
ويقوض مساحة الفاجعة..
سيرتهم المضيئة..
وثروتهم العلمية..
ودروسهم النيرة..
وذكرياتهم العطرة..
مما يجبر النفس على التأثر والاقتداء..
ويدفع اللسان للدعاء لهم..
والشيخ السبيل إمام الحرم الذي فقدناه..
والفقيه الذي خسرناه..
مدرسة متنقلة في التعليم..
ومركز مشع في الدعوة..
ومنبر مؤثر في الخطابة..

وسلوك مثالي في التعامل..

وقبل أربع سنوات من الآن استوقفت الشيخ السبيل بالمطاف بالمسجد الحرام بعد إمامته للمصلين لصلاة العصر.

وأسرني بتواضعه الجم..

وبساطته الواضحة التي لا تعرف التكلف..

وقد استأذنته في نشر الإصدار لوالده سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ـ وفقه الله ـ.

وطيلة حديثي ووقفاتي مع الفقيد ـ يرحمه الله ـ لم يفتر أو يمل من السلام والمصافحة والسؤال لجموع المسلمين الذين تحلقوا عليه لحظة خروجنا من المسجد الحرام.. حيث اصطحبني إلى موقع سيارته المتواضعة.. وأصر على ركوبي معه لإيصالي إلى موقع سيارتي.

فيما لم ينقطع حديث فضيلته عن أهمية عملنا في منبر الصحافة كجهاز مؤثر في التنوير والإرشاد فيما كانت كلمات تشجيعه لنا وحثه على مواصلة العمل بثبات جرعة قوية وحافزاً مهماً للمواصلة.

وإذا كنا اليوم نفقد الشيخ السبيل إلا أننا لم نفقد نصحه.. وإرشاده لنا.. ولا تزال كلماته تتردد في أسماعنا.. وتلهج ألسنتنا بالدعاء له بالرحمة والمغفرة.

والله نسأل أن يجعل جميع أعماله خالصة لوجه الله وفي موازين حسناته وأن يعوضنا الله تعالى فيه خيراً.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة عكاظ

١٤٢٣/١/٣هـ

العلم رحِم بين أهله

السيد عبد الله بن محمد فدعق

اختار الله ﷻ إلى جواره في الأيام القريبة الماضية رجلاً فاضلاً ومعلماً بارزاً، هو فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن محمد السبيل إمام المسجد الحرام وخطيبه فنعم الشرف ناله ونعم الحال حصله رحمه الله.

وأسأل المولى جل في علاه أن يجعل للفقيد الراحل النصيب الكامل من شهادة أهل الخير له به وأن يعظم له المثوبة في الدار الآخرة بما قدم من أعمال اتسمت بالجرأة في الحق والوسطية والأدب يذكرها له كل المحبين، ولعل مسحات الحزن التي علت كل من شارك في تعزية سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، والذي التقيته أول ما التقيته في مقبرة المعلاة بالحجون في الثالث من رمضان سنة ١٤٠٠هـ أثناء دفن سيدي الجد فضيلة الشيخ السيد حسن بن محمد فدعق إمام الشافعية في وقته رحمه الله، والتي لمستها في نفسي مع غيري خلال تأدية واجب العزاء للشيخ الوفي وأبنائه البررة، سعادة الأستاذ الدكتور عبد العزيز أستاذ اللغة العربية بارك الله فيه وإخوانه الأفاضل وابن الفقيد أنس وأشقائه الأكارم حفظهم الله جميعاً وأعظم أجرهم كانت خير دليل على عظم فقدان هذه الفئة من العلماء وصدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حيث يقول فيما يرويه الشيخان: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن

يقبض العالم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

وختاماً: أسأله أن يجبر بجميع المسلمين وخصوصاً ولاة أمورنا في هذه البلاد المباركة وعلماء الأمة في هذا المصاب الأليم فالمصاب واحد والعزاء واحد وعوضنا سبحانه في جميع طلبة العلم خيراً، إذ العلم كما قيل: رحم بين أهله.

مصاب عظيم

الشيخ سليمان بن عبد الله الطريم

المدير العام للدعوة في الداخل سابقاً

إن المصاب يعظم عندما يفقد بدر من أهل العلم والفضل، والخطب سيكبر عندما يفقد قدوة صالحة وأسوة حسنة في دعوته وأخلاقه وشمائله، فقد رزق الله الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل شمائل حسنة جمة، وأخلاقاً نبيلة كثيرة.

نسأل الله أن تكون من أسباب رفعة منازله في الجنة، وعلو درجاته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقد نال رحمه الله بتلك الأخلاق والشمائل، وصلاح الديانة ودماثة الخلق محبة الصالحين، وتقدير أهل العلم والدعاة، واحترام المسؤولين والولاة، وقد شهد الحرم المكي بإمامته وخطبه صدقاً في وعظ المؤمنين، وإخلاصاً في إرشاد المسلمين إلى توحيد الله والاستقامة على هدى رسول الله ﷺ مما كان له أثر بالغ في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

فنسأل الله أن تكتب في ميزان حسناته وأن تكون من العمل المبارك الموصول بعد الموت مما انتفع به المسلمون من عمله، واقتدوا بسيرته، واتعظوا بمواعظه.

وكان رحمه الله فيه سمت الصالحين، وأدب العلماء، ونصح الدعاة ولطف

ورحمة المؤمنين، وكان رحمه الله سليم الصدر، صادق اللهجة، عفيف اللسان، وقوراً لا يتكلم إلا بعلم أو نصح، بعيداً عن الجدال بالباطل، في حديثه الصدق والسمو، ينتقي الكلام كما ينتقي أطايب الثمر، لا تسمع في مجلسه غيبة ولا نميمة ولا همزاً أو غمزاً، محباً لجميع الإخوان ملاطفاً لجميع الأصحاب.

عرفته طالباً مثالياً في الدراسة الجامعية في الرياض، يتشرف بمعرفته الأخيار، ويسر بصحبته الإخوان، ومحل تقدير من الأساتذة والعلماء، ثم عرفته مجالساً ومصاحباً في لقاءات واجتماعات في مجالات الدعوة والخير، فأنعم به من داع وأكرم به من أخ عزيز.

عزاؤنا فيه لولاة الأمر ولوالده الفاضل المحب المربي ذي الخلق الفاضل والداعية الصادق معالي الشيخ محمد السبيل ولإخوانه وجميع أسرته ومحبيه العزاء والسلوان. ولله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار.

والعزاء في الشيخ عمر يمتد عن محيط أسرته وكنف بيئته فهو فقيد دعوة وإمامة وعلم.

فرحمه الله وتغمده بواسع رحمته ورزقه الجنة.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

صحيفة الجزيرة

١٤٢٣/١/٣هـ

غاب عام وجاء عام وغابت شمس الإمام

هدى بنت سلطان القحطاني ـ الرياض

ودعنا منذ أيام سنة ١٤٢٢هـ ودعناها ونحن ندعو الله سبحانه ونرجو أن نكون قد قدمنا فيها ما يرضيه عنا وينقذنا من غضبه وعذابه يوم الحساب، وبعد أن غابت شمسها بقينا متأسفين على أيامها وساعاتها ودقائقها التي مضت ولا نستطيع إرجاعها لعلنا نستزيد منها عملاً صالحاً. لكنها سنة الله في الكون وأمره.. وقد قيل:

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

ودعناها وقد رحلت بالهموم والأحزان والأحبة وبقينا في محطة الانتظار نرى ماذا ينتظرنا في باقي الأعوام من نعم وابتلاء.

في عام فقدنا أبرز العلماء الواحد بعد الآخر وهذا والله لأمر يجعل من كل إنسان مسلم يدرك أن الحياة لا تدوم له طويلاً وإن غره عمره بصحته وشبابه وجماله وماله ودينه.

إن كلاً منا يريد الإيمان ولكنه لا يكون فعلاً إلا إذا تيقن الواحد أنه عاجلاً أم آجلاً راحل وتارك هذه الدنيا، والناس خلفه، وسيقدم على الله وحده لا ينفعه إلا إيمانه وعمله وتقواه.

إن كل واحد منا بحاجة لأن يفكر ويتدبر فعلاً كيف انقضت أعوامه وهو لا يشعر بها، ولا يثق بأنه قدم أعمالاً ترضي ربه سبحانه.

إن فقدنا لعلماء فضلاء جهابذة، وفقدنا لأقرباء أحبة في عام واحد فقط يجعلنا نعرف أننا في سفرنا قد قاربنا لمحطة الإقلاع فعلينا التأهب بين حين وآخر وقد قيل:

أقـر الـسلام عـلى الحيـاة فإنهـا قـد آذنتـك بـسرعة التوديـع

إن الأمـة الإسـلامية العظيمـة ودعـت عـصر يـوم الجمعـة ٢/ ١/ ١٤٢٣هـ أحد أئمة الحرم المكي الشريف ألا وهـو الـشيخ الفاضـل الدكتور عمر السبيل، فرحمة الله عليه وغفر الله لـه وأسـكنه فـسيح جناتـه، ورزق الله أهل بيته الصبر والسلوان، وآجر الله إمامنا الكبـير والـده الـشيخ محمد بن عبد الله السبيل في عظم مصيبته وعوضه خيراً منها ونـذكره بقولـه ﷺ: (من يريد الله به خيراً يصب منه).

وندعو طلابه ومحبيه بالصبر والثبات ونذكرهم بقول أبو بكر الـصديق رضي الله عنه عندما كان يعزي أحداً: (اذكـروا فقـد رسـول الله ﷺ تـصغر مـصيبتكم ويعظم الله أجركم).

كان نعم الرجل القوي الإيمان، الثابت الجنـان، فـنحن نـسمع أخبـاره وندعو له ومرضى المسلمين وبقدر حزننا لفقده، وهـو أحـد أئمـة بيـت الله العتيق بقدر ما سرتنا خاتمته وهو على المحجة البيضاء.

رحل إلى رحاب ربه بقلب مؤمن صابر على فراش المـرض والألم عـلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

نعم الشيخ المؤمن التقي نقي القلب الذي أيقن أن له رباً ملاقيه، وأن لـه بيتاً هو ساكنه، فاسترضى ربه قبل لقائه وعمّر بيته قبل انتقاله إليه.. نـسأل الله له ذلك ولا نزكيه ولكن نشهد له بما شهد به المسلمون وبما شهدت له صلواته بالمسلمين في الحرم العظيم، وآيات تلاها فيه وترددت أصداؤها في الدنيا..

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

والحمد لله على قضائه وقدره.

صحيفة الجزيرة

١٢ /١/١٤٢٣هـ

المبحث الثاني
أبرز ما قيل فيه شعراً

مات الخطيب

الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

وعميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى

خبر أتانا قرب جنح ظلام ... هز الفؤاد فقض فيه منامي

مات الخطيب إمام أطهر بقعة ... هذا قضاء الواحد العلام

عمر السبيل في التراب مجندل ... تالله هذي لوعة الأقوام

في الحج أضحى للمخيط مجرداً ... واليوم أمسى شبه ذي الإحرام

يبكيه في كل البلاد أحبة ... يبكيه جمع من بني الإسلام

فليهنه جمع أتاه مشيعاً ... يدعو له بالعفو والإنعام

يا نفس عزي في المصيبة أمة ... مكلومة بالحزن والآلام

عزّي وقولي للخليفة قولة ... ميعادنا بجنائز الأعلام

عهد مضى عشنا صفاء محبة ... فكأنه الأضغاث في الأحلام

شيخٌ جليلٌ لا أقول تزلفاً ... فالمذق سوءٌ وهو غير تمام

إن شئت فقهاً أو أردت تواضعاً ... أو بذل نصح من شفاه إمام

نفحات عطرٍ في فؤادٍ نيرٍ ... متوقد يرجو بلوغ مرام

الفقه في جنبيه مثل صيارف ... ينبيك عن حل به وحرام

والسمت سمت العارفين تلطفاً ... بالحزم يمضي ممسكاً بزمام
خطب تناثر كاللآلئ ثرة ... لله در الفارس الضرغام
رأي حصيف يستضيء بهمة ... أكرم بهذا العالم الهمام
قلب حوى من كل حقل زهرةً ... هذي مآثره مدى الأعوام
تالله ما وفيت كل خصاله ... مهما سكبت السود بالأقلام
ما ضيع الأوقات حين أضاعها ... من قطعوها مثل قطع حسام
ما هكذا وقت الفتى في عمره ... سهو ولهو ثم فيض غرام
فالوقت مثل السيف في طياته ... معنى يفوز به ذوو الأفهام
فالله ندعو أن يثيب خطيبنا ... خيراً جزيلاً وسط دار سلام
وزواجه بالحور في جناته ... آمين يا ذا الجود والإكرام
صلى الإله على الحبيب محمد ... ما هل قطرٌ إثر ومض غمام

صحيفة عكاظ

٦ /١/١٤٢٣هـ

رحيل في ربيع العمر

الدكتور ناصر الزهراني

إمام وخطيب جامع الشيخ ابن باز بمكة المكرمة

وعضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

نكأت جرح الأسى الفتاك يا عمرُ ... والهم نيرانه في القلب تستعرُ

فقدانكم يا إمام البيت فاجعةٌ ... وغلغل الحزن في أرواحنا الخبرُ

وخيم الحزن في أنحاء جامعة ... بمثلكم يا ربيب العلم تفتخرُ

فضل وبذل ورفق كالشذا عبقاً ... والعلم نهر زلال ما به كدرُ

وما رأيناك إلا كالضحى ألقاً ... كالشمس نوراً كوجه البدر يزدهرُ

سمحاً قريباً حبيباً هيناً دمثاً ... موطئاً هذبته الآي والسورُ

ألفاظه كعبير الزهر مفعمة ... باللطف كالجدول الرقراق تنحدرُ

أنيسك الوحي والعلم الزلال به ... تسلو وما طاش منك الفِكْرُ والفِكَرُ

قلبٌ إذا بات فالأنعام نغمتهُ ... والنور والطور والأحزاب والزمرُ

وتكتسي من أفانين الرضى حللاً ... ويبعث الشوق صفواً وجهك النضرُ

في مشرق العمر والإقدام باسمةٌ ... أيامه والعطاء الجم ينتظرُ

أودى بك الموت فانهارت مشاعرنا ... أسى فقد غاب من ليل المنى القمرُ

هذا هو الوالد المكلوم لاهبةٌ ... أحشاؤه باللظى والدمعُ ينهمرُ

يبيت يأبى عليه النوم مضجعه ... كأنما غُرسَتْ في جسمه الإبرُ

كم عاش يسكب فيك الطهر في دأبٍ ... ويبتني فيك آمالاً ويدَّخرُ

يـــرى بـــك المجـــد في أثـــواب عزتـــه ... مـــن أجـــل عينيـــك يحلـــو الهـــم والـــسهرُ
أيامـــــه منـــــك آمـــــال مغـــــردة ... وفي هزيـــع الليـــالي يعـــذب الـــسمرُ
كنـــت الرفيـــق الـــذي يـــسلو برفقتـــه ... بـــر حنـــون خفـــيض الـــصوت مـــؤتمرُ
حتى إذا ما استوى غـرس الـرضى وعـلى ... أغـــصانه طابـــت الأزهـــار والثمـــرُ
يجتثـــه المـــوت رغـــماً عـــن أحبتـــه ... وهكـــذا تفجـــع الأيـــام والغـــيرُ
أوهـــى مـــصابٍ عـــلى وجـــدان والـــده ... والمـــرء بـــالخير والبأســـاء يختـــبرُ
يـــا ربِّ أفـــرغ عليـــه الـــصبر وابـــن لـــه ... قصراً من الحمد في فردوس مـن صـبروا
واربـــط عـــلى مهجـــة الأم الـــرؤوم فـــما ... أقـــسى زمانـــاً عليهـــا مـــا بـــه (عمـــرُ)
هـــو الأبـــر الـــذي في ظـــل رحمتـــه ... مـــا مـــر في جوهـــا غـــيمٌ ولا قـــترُ
وزوجـــة باتـــت الأيـــام تـــسعدها ... بـــاللطف والعطـــف لا هـــم ولا ضـــجرُ
خِـــل وفيٌّ حباهـــا عطـــر مهجتـــه ... فهـــو الهـــوى والمنـــى والـــسمع والبـــصرُ
غـــدت بهـــا حادثـــات الـــدهر فانتهبـــت ... حليلهـــا واســـتبد الهـــمُّ والكـــدرُ
يـــا رب رحمـــاك بالقلـــب الجـــريح ... وبـــالروح التـــي لحنـــان منـــك تفتقـــرُ
واحـــسرتا لـــصغارٍ غـــاب مؤنـــسهم ... لهـــم تكـــاد قلـــوب النـــاس تنفطـــرُ
جاءتـــه «نـــورة» لم يظفـــر برؤيتهـــا ... إذ كـــان في غرفـــة الإنعـــاش يحتـــضرُ
امـــنن عليـــهم إلهـــي بـــالعزاء وكـــن ... أنيـــسهم فبـــك المكـــسور ينجـــبرُ
آل الـــــسبيل والألفـــــاظ واجمـــــة ... والشعر عن وصف ما في القلـب يعتـذرُ
في دوحـــة الـــصبر والإيـــمان تـــسلية ... عـــن الرزايـــا وأربـــاح ومتجـــرُ
هـــذا الحبيـــب الـــذي تبكـــون غيبتـــهُ ... يكـــاد يبكـــي عليـــه الزهـــر والـــشجرُ
أتيـــت أروي مواســـاتي بقافيـــةٍ ... تكـــاد مـــن حرقـــة الأحـــزان تنـــصهرُ
يـــا شـــيخنا أحـــسن البـــاري عـــزاءكمُ ... وفي الرضـــا بقـــضاء الخالـــق الظفـــرُ

قد احتسبت إماماً يافعاً طربت ... له جنان الرضى واشتاقت السررُ

أنت الذي بعبير العلم ترشدنا ... كم كنت تسدي لنا الذكرى فنذّكرُ

صبراً على ما أمض الروح من كمدٍ ... يا شيخنا فهو أمر الله والقدرُ

أنت العليم بما لله من عدةٍ ... للصابرين وما أهدى لنا الأثرُ

هذا مصاب لأهل الدين قاطبة ... فإن غيبة أرباب النهى خطرُ

مضى لجيرة أعلام جهابذة ... في تربة «العدل» قد ضمتهم الحفرُ

هذي وفود الرضى جاءتك باكية ... وهؤلاء ملايين الورى حضروا

بشائر بختام طيب حسن ... وشاهد من شهود الفوز معتبرُ

لا تغبط اليوم إنساناً بعيشته ... فإنما الغبطة المثلى لمن عبروا

عزاؤنا فيه ما أبقاه من عبق ... لسيرة يتمنى مثلها البشرُ

حل التواضع في أعماق مهجته ... وفر منها الهوى والكبر والبطرُ

ماذا تقول حروف الشعر عن علم ... أخلاقه كنسيم بثه السحرُ

عليه من ربه الرضوان ما انعقدت ... غمامة أو همى في أرضنا المطرُ

وما ترنم بالقرآن قارئه ... وما مشى في رحاب البيت معتمرُ

صحيفة الجزيرة

بتاريخ ١٤٢٣/١/١٥هـ

لوعة فقدٍ

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم

أفاضت عيون يوم فقدك أم همى ... من القطر ميزاب يصب من السما

أم الناس كل الناس قد أجمعوا على ... بكائك في سيل من الدمع أسجما

كسا الفقد إشراق الوجوه كآبة ... ونار لظاها في الجوانح أضرما

ولا فقد تخشاه النفوس وتشتكي ... إذا حل سقماً مبرحاً ومؤلما

سوى فقد من كانت شمائله ندى ... أناف، وعلماً لا يزال معظما

فأروى عقولاً من معين نقية ... وأروى قلوباً من محبته ظما

إذا قدر الرحمن خيراً لعبده ... يفقهه في الدين منه تكرما

أبا أنس لولا المحبة لم تكف ... عليك مآق من محاجرها دما

ولم تصل نيران الفراق حشاشة ... يريش إليها حسن خلقك أسهما

عليك ذرفت الدمع والدمع آية ... لما اختار في كنه المشاعر مجثما

وما لي لا أبكي فما عيب من بكى ... تقياً على عرش السماح تسنما

عرفتك نبراساً يضيء بشاشةً ... ويسفر ربعاً دون جودك مظلما

أناخ لديك الجود فانتظر الندى ... فقيراً ومسكيناً لبابك يمما

خلقت عطوفاً لا تني عن رفادة ... ومن كان ذا عطف أفاض وأكرما

تواضعت فاستعليت عزاً ورفعةً ... وسابقت في عليا المنازل أنجما

أممت جموع الناس في خير بقعةٍ ... ترتل آيات الكتاب ترنما

وناديت تحت البيت تخطب واعظاً ... وبلّغت ميراث الرسول معلما

بنفسي ذاك الصوت ما أعذب الصدى ... صداه وما أصمى نواه إذا رمى

أبا أنسٍ ما نصف شهر أشفني ... وأيبس مني كل عرق وأسقما

سوى سدفة عظمى على القلب خيمت ... وغشّى نظيري من قتامتها عمى

فلم تصطبح تلك القتامة بالذي ... تمنيت لكن بالذي كان أشأما

ظللت بها حيران حيناً إلى الرجا ... أقاد وأحياناً إلى اليأس مرغما

أصبت..فكان القلب من خوفه الردى ... ضجيعك.. في قسم العناية نوما

فو الله ما فارقت عيني ساعة ... ولا القلب، بل ذكراك ترفل فيهما

وكنت إذا عين الخلائق هوّمت ... وآوت إلى جنب من العيش أهضما

دعوت إله الناس أن يكشف الذي ... أصابك من داء أضر وآلما

هو الله حسبي لا يكون سوى الذي ... أراد.. قضاء للبرية ملزما

فلما أفلت اليوم عن صفحة الدنا ... وغادرتها تشكو ظلاماً معتما

تضرعت للرحمن أن يجعل الذي ... أصابك تكفيراً لذنب تقدما

وأن تسكن الفردوس في جنة العلا ... وتلحق بالصحب الكرام منعما

صحيفة الجزيرة

بتاريخ ١٥/١/١٤٢٣هـ

دمعة صافية على فقيدنا فضيلة الشيخ عمر محمد السبيل رحمه الله لشاعر طيبة

محمد ضياء الدين الصابوني

عضو رابطة الأدب الإسلامي الثقافي

الموت قاض حكمه لا يدفعُ ... وإذا المنية أقبلت لا تقلعُ

أ(محمدٌ) والفضل فيك سجيةٌ ... الصبر أجدى والتجلد أنفعُ

صبراً على هذا المصاب ووقعهِ ... والله يجزي الصابرين ويرفع

أُفٍ لدنيا لا يدوم نعيمها ... ماذا يفيد الحزن ماذا يدفع؟

بينما يُرى الإنسان في عميائه ... فإذا به كالصخر إذ يتصدع

الموت غاية كل حي ما لنا ... غير الرضا، ولكل نفس مصرع

ما مات من ذكراه ملء قلوبنا ... ذكراه مثل المسك إذ يتضوع

لله در فقيدنا من مخلص ... فله الفضائل والمآثر تشفع

(عمر) وأنت إمامنا وخطيبنا ... ولأنت في كل المسائل مرجع

وتغمد المولى الفقيد برحمة ... يامن له تحنى الرقاب وتخضع

إني أتيتُ معزياً ومواسياً ... والقلب من حر الأسى يتمزع

صلى الإله على النبي وآله ... ما دام لألاء الكواكب يلمع

في رثاء الشيخ عمر السبيل رحمه الله

عمر بن عبد الله آل إبراهيم

مآذن البيت تبكي البعد يا عمرُ ... والشمس تبكي ويبكي بعدها القمرُ

ولو رأيتَ جموع الناس باكيةً ... قد شفَّها الحزن فالأشواق تستعرُ

كم كنتَ مِنْ قبل هذا اليوم تصعدُه ... وتستغيثُ إذا ما أبطأ المطرُ

الصوتُ ما زال في أسماعنا أَلِقاً ... والشيخُ مات فلا حِسٌّ ولا خبرُ

بالأمس صلَّى على الموتى وشيَّعهم ... واليوم صلَّى عليه البدو والحَضرُ

مضى مع العام مسروراً بصحبتِه ... ونحنُ في مهمه الآلام ننتظِرُ

وجاء من بعده عامٌ.. وفي يده ... رَسْم التعازي وفي أيامه عِبرُ

فقلت يا عام أين الشيخ؟ وا أسفي ... ما لي أراك طويل الصمت؟ ما الخبرُ

فقال والدمع من عينيه منسكِبٌ ... مضى الإمام وجئتُ اليوم أعتذِرُ

رِدَاؤه العلم والتقوى مَزَادتُه ... وبالتواضع والإيمان يتَّزِرُ

محبَّبٌ لقلوبِ الناس كلِّهمُ ... حلوُ الحديثِ كمثل الماء ينهمِرُ

إني لأحسبه من خير من سَلَفوا ... ولا أزكيه.. لكن تشهد السِّيَرُ

يا غافلاً وسهام الموت مرسلةٌ ... إنَّ السهام لَما تبقي ولا تذر

إن فاتَكَ الموت في عام مضى فغداً ... يضمُّكَ القبر أو تزهو بك الحُفَرُ

كم مُنْيَة هادمُ اللذَّات بدَّدها ... بأيِّ ثانية قد ينتهي العُمُرُ

إنا على سَفَر والموت موعِدُنا ... وبعده جنَّة الرضوان أو سَقَرُ

طوبى لمن جعل الرحمن مقصِدَه ... وجدَّ في السير لم يقعد به الخَوَرُ

القصيدة الصادقة

أحمد سالم الحسني ـ مكة المكرمة

لقد هاج من حزني ومن بُرَحائي ... نعِيُّ امْرِئٍ من صفوةِ الفُضَلاءِ
فتىً راحَ في عزِّ الشبابِ مُودِّعاً ... وغابَ عن الدنيا لدارِ بقاءِ
لِيبكِ على نجلِ السُّبَيِّل من بكى ... ففي ذرْفِ دمع العينِ بعضُ عزاءِ
بروحي لو يفدى لكنتُ فديتهُ ... ولكنَّ ما يَجرِي جَرَى بِقضاءِ
لئِن غاب عنَّا شيخنا عُمَرُ العُلاَ ... بجسم، لقد خلَّى جميلَ ثناءِ
فقدناهُ شَهْماً، ذا إباءٍ، وعِزَّةٍ ... وزهدٍ، وإخلاصٍ، وفرطِ وفاءِ
ستبقى لنا ذِكراهُ -دهراً- شَذيَّةً ... فقد كان ذا صيتٍ، وحُسنِ رُواءِ
قضى عمره يدعو إلى الحقِّ والهُدى ... وكان له في ذاكَ خيرُ بَلاءِ
خِطابَتُه تُزْرِي بسَحبَانِ وائلٍ ... وأُسلوبُه ذو رَونقٍ، وبهاءِ
فكم خَدَمَ الإسلامَ والعلمَ مُخلصاً ... جزاهُ إلهُ العرشِ خيرَ جزاءِ
عسى ربَّهُ يجزيهِ فضلاً، ورحمةً ... وأثْواهُ بالفردوسِ خير ثَواءِ
أبَا عُمَرَ احْتَسِبْ، فَفِي الصَّبرِ راحةٌ ... وهو لِهموم النَّفسِ خيرُ دواءِ
فأبقاكَ ذُخراً للبَنِينَ إلهُنا ... وآتاكَ سُلْواناً وحُسْنَ عزاءِ

في رثاء الشيخ عمر السبيل

الأستاذ/ عبد الرحمن بن سعيد الحارثي - الطائف

جل المصاب وعم الحزن يا عمرُ ... وغبت عن ساحة التعليم يا قمرُ

وغبت عن مسجد يبكيك منبره ... وقد دهانا الأسى والحزن والخبرُ

في كل آونة نبلى بفاجعة ... في عالم بجميل الذكر يشتهر

في مطلع العام يا للهول من خبر ... محا الصفاء وحل الكرب والكدر

كم خطبة قالها في البيت كم عظةٍ ... كم من محاضرةٍ والجيل قد حضروا

ومال للدين عن دنيا وزخرفها ... كالسّيف دلّ على تأثيره الأثر

إن المقادير تجري في أعنتها ... وللمقادير في أحداثها عبر

نور انطفأ واختفى في عز نشأته ... بعد استضأنا وبان النّور والثمر

فتيٌّ سنٍّ وفي المقدار شبه أبٍ ... في أسرة مدحهم بالطيب ينتشر

وغصن روض ذوى في الترب مضجعه ... من بعد ما لاح فيه اليمن والزهر

سرور قلبي انقضى لما قضى ومضى ... إذ في الشباب انتهى للناسك العمر

والصبر مرّ وحلو في عواقبه ... يا حبذا الصبر، طوبى حظ من صبروا

ووالد الشيخ شيخٌ في تصبرّه ... درسٌ لمن حزنه للنفس يعتصر

فقيدنا كلنا والحزن يشملنا ... والحزن في كل قلب بات يستعر

يا أسرة في احتساب الأجر سائرة ... حاشا لأمثالكم ينتابهم خور

للموت أرض ووقت في مصارعنا ... سيجرع الموت من ناموا ومن سهروا

تسليمنا الأمر للرحمن طمأننا ... وكلنا مؤمن مهما قسى القدر

إنـــا إلى الله مهـــما حـــلّ مرجعنـــا ... وللأنـــام بـــما يجريـــه معتـــبر
إنـــا إلى الله رب الكـــون مرجعنـــا ... وليس يجرى الضنى والغـم والـضجر
فقيـــدنا نـــسأل الـــرحمن يرحمـــه ... في جنـة قـد جـرى مـن تحتهـا نهـر
وعـــوض الله بـــالخيرات أسرتـــه ... وأمـــةً للـــشباب الغـــرّ تفتقـــر
لكعبـــة الله للإســـلام تعزيتـــي ... لمنـــبر البيـــت والآمـــاق تنهمـــر
لكـــل طلابكـــم بـــل كـــل أسرتكـــم ... منـــا التعـــازي وبالتـــسليم نـــأتزر
وللجميـــع التعـــازي مـــن ضـــائرنا ... وإننـــا كلنـــا للـــصبر نفتقـــر

ألا للخلد يا عمرُ

الأستاذ: علي بن حسن بن علي الرديني- الرياض

أحقاً قد أتى الخبرُ ... بفقد المهتدي عمرُ؟
سلام يا أبا أنس ... دفين في الحشا عطرُ
سلام بلَّهُ دمع ... هميل دائم مطر
إليك أزفها شعراً ... وما يغني به الشعر
فلا وزن يطاوعني ... ولا عجز ولا صدر
إذا تم البناء به ... إذا بالوزن ينكسر
سلام بت أنسجه ... وبالأحزان يستعر
وضمنت النسيج بما ... ء ورد حطه الزهر
أتاك الموت في دعة ... كأن الكل ينتظر
بكاك الكل في حرم ... بكى المحراب والحَجَر
بكاك الركن مشتاقاً ... بكاك السعي والحِجْر
بكى الطلاب أجمعهم ... لعلم غاب إن حضروا
وكم من ركعة تُلِيت ... بها الآيات والسور
وكم من خطبة فيها ... بها الأحكام والعبر
بكاك الكل في (عدل) ... دفنت بها أيا عمر
وحُفَّ النعش محمولا ... بحشد شابه الكدر
بآلاف مؤلفة ... تسير كأنها البحر

وصرت جـــوار مـــن ذهبـــوا ... إليهـــا ثـــم مـــن قُـــبروا
ألا يـــــا أيهـــــا الآتي ... ألا يـــــا أيهـــــا الخـــبر
أرى المـــوت المحـــيط بنـــا ... كغـــل بـــل هـــو الأسر
يجـــيء المـــوت في لمـــح ... كـــذئب طبعـــه الغـــدر
لـــئن كـــان الـــسؤال متـــى؟ ... وكيـــف أتـــاك يـــا عمـــر؟
لكـــان الحـــق أن بنـــا ... غمامـــاً إثـــره الخطـــر
ســـؤال النـــائمين أمـــا ... بكـــم حـــس ولا فكـــر؟
ألـــيس الله متـــصفاً ... بقـــول كلـــه أمـــر؟
فـــ(كـــن) هـــذي إرادتـــه ... عليهـــا أيقـــن البـــشر
يجـــيء المـــوت مرســـولاً ... وكـــل النـــاس تنتظـــر
وهـــذا الـــدرب موصـــول ... عليـــه النـــاس قـــد مـــروا
فهـــذا يومـــه غـــده ... وذاكـــم جـــاءه الأمـــر
فيـــصبح ضـــاحكاً يمـــسي ... دفينـــاً ضـــمه القـــبر
فبـــات القـــبر مثـــواه ... ويكـــشف عنـــده الـــستر
ألـــيس المـــوت مـــصراعاً ... وبابـــاً كلـــه غـــبر؟
ألـــيس المـــوت منتظـــراً ... ويـــشخص عنـــده البـــصر؟
ألـــيس المـــوت مبتـــدأ ... ويـــأتي بعـــده الخـــبر؟
ألـــيس المـــوت مكتوبـــاً ... علينـــا وهـــو ينتظـــر؟
تعـــدد فيـــه أســـباب ... ويُمحـــى بعـــده الأثـــر
يقينـــاً بـــتّ أوقنـــه ... بـــأن المـــوت لا يـــذر
فـــلا حـــرص عـــلى الـــدنيا ... يفيـــد بـــه ولا حـــذر

فكم من طاعن سناً ... عليه الموت لم يجرو
وعين بالشباب زهت ... فأمست ماهها ذكر
تراهم وسط فرحتهم ... بموت مفجع وُتِروا
أباه الشيخ يا علما ... أباه البحر يا حَبْر
فكم نهل الفتى منكم ... وكم رشف الفتى عمر
عزائي بتّ أنسجه ... حروفاً شابها الذعر
فكان الكسر مرفوعاً ... وسُكن بعده الجرُّ
وصار الفعل مفعولاً ... وفي بدئي أتى كسر
مصاب الناس في علم ... يُشَلُّ بوجده الفكر
إلى جنات رضوان ... بها أنس بها النهر
بها تلقى السلام هنا ... بها المأوى بها الأجر
ألا للجنة المثوى ... ألا للخلد يا عمر

(٢ من محرم ١٤٢٣هـ)

الشيخ عمر السبيل رحمه الله

مشعل المغربي

جاوبت صوتك فاستبد بي الصدى ... فرجعت أدراجي إليك مجددا
آهات قلب ضج من مأساته ... فتبلور الإحساس فيه فأنشدا
فإذا كتبت فلست أول كاتبٍ ... وإذا بكيت فليس قلبي جلمدا
من أين أبدأ والأسى يجتاحني ... ولظى لهيب الذكريات تجددا
عادت إلي بغضها وغضيضها ... والهم حل بجانبي وعر بدا
يا كوكباً هز القلوب رحيله ... وأحال ضوء الفجر ليلاً أسودا
ناداك ربك فاستجبت نداءه ... وأتيت في عجل تلبي الموعدا
كم مقلة هلت عليك دموعها ... أمست كما يمسى اللديغ مسهدا
أما القلوب فما استقر قرارها ... أسفاً عليك ولوعة وتوجدا
قدر وأيم الله إلا أنه ... لا يستقيم له الفداء فيفتدى
يا من أفلت وكل نجم آفل ... ما أنت إلا نصل سيف أغمدا
نبكي على عمر وحق لنا البكا ... شيخ الفصاحة والسماحة والندى
فعسى ضريحك روضة من جنة ... وسقاك رب الناس غيثاً مزبدا
وهمى على أبويك إيماناً بما ... كتب الإله فكل أمرٍ أرصدا
الصابرين على البلاء تيقناً ... أن لن يضيع الله صبرهما سدا
يا من فجعت بفقد أكرم راحلٍ ... هون عليك فقد فقدت موحدا
فإذا صبرت على الرزية إنما ... من عادة النحرير أن يتجلدا
فصمدت للإحداث طوداً شامخاً ... في منزلٍ ساميت فيه الفرقدا

تثنـــي عـــلى رب البريـــة أمـــره ... والله أهـــل أن يجـــل ويحمـــدا
لم تـشتكي للنـاس خطـب قـضائه ... لـو كـان ليلـك بالمـصيبة سرمـدا
وكـذاك حقـاً للمواقـف أهلهـا ... تبقى مواقفهم عـلى طـول المـدى
والموت لـن يبقـي عـلى ظهـر الـدنا ... أحـداً فهـم حـي عليهـا خلـدا
دارت عـلى الأوطـان قائلـة لهـم ... النـاس كـل النـاس زرع للـردى
فمتـى نفيـق مـن الجهالـة والعمـى ... ومتى نحث الـسير في درب الهـدا
ولـسوف تـصرعنا أمَـرُّ حقيقـةٍ ... يا لهف نفـسي مَـن يـودعني غـدا
رحمـاك يـا ربـاه أنـت رجاؤنـا ... ما خاب مكلـوم يمـد لـك اليـدا
لما سـمعت الخطـب هـز مـشاعري ... شيعت من تحت الـتراب موسـدا
لـك صـادق الـدعوات منـا كلـما ... سجع الحمام على الغصون وغـردا

لله درك يا عمر

عبد الله محمد با شراحيل

لله مـــا أقـــسى الخـــبر ... اليـــوم ودعنـــا عمـــر
يـــا أيهـــا الـــشيخ الإمـــام ... وأيهـــا القلـــب النـــضر
يبكيـك مـن بالبيـت طـاف ... وحـــج مكـــة واعتمـــر
ودعـاء مـن صـلى الفـرائض ... بـــين حجـــر وحجـــر
والخـير أصـدق مـن بكـى ... حزنـــاً وأول مـــن حـــضر
كبريـــق حبـــات النـــدى ... أشرقـــت في عـــين القمـــر
دمـــع النـــسائم لم يـــزل ... مترقرقـــاً في كـــل شـــبر
وسراجـك الـضاوي يـشع ... بـــما حفظـــت مـــن الـــسور
ولأنـــت بـــالخلق الـــذي ... أوصى بـــه خـــير البـــشر
متوشـــحاً بـــالحق مـــا ... بـــين البـــصائر والبـــصر
تـــسقي وريـــان الهـــدى ... مـــن نبـــع قلبـــك ينهمـــر

***

يـــا مكـــة البلـــد الحـــرام ... ومولـــد الـــدين الأغـــر
قـــد جـــاء يثـــوي في ثـــراك ... العلـــم والعمـــر العطـــر
لبـــى النـــداء وقـــد دعـــا ... رب العبـــاد وقـــد أمـــر
الله أكـــبر يـــا عمـــر ... في الجـــدب يفتقـــد المطـــر
يـــا طيـــب قلـــب قـــد ذوى ... وربيـــع عمـــر يختـــصر
يـــا أيهـــا الـــشيخ النبيـــل ... تركـــت أطيـــاب الأثـــر
ويـــد المنـــون ترودنـــا ... بـــين القـــضاء أو القـــدر

***

يـــا رب عفـــوك لا يـــضن ... وكـــل عبـــدك يفتقـــر
فلأنـــت أعظـــم مـــن إذا ... اســـتغفره عبـــد قـــد غفـــر
فـــاغفر لـــه يـــا ســـيدي ... وارحمـــه أنـــت بـــه أبـــر
أنـــت الكـــريم وأنـــت مـــن ... بيـــديك أقـــدار البـــشر
لله درك يـــــا عمـــــر ... دمـــع الرجـــال قـــد انحـــدر
كـــل الجمـــوع عـــلى ثـــراك ... أتـــت تـــودع بـــالنظر
يـــا رب نـــسألك الثبـــات ... لـــه وطيـــب المـــستقر

صحيفة المدينة

بتاريخ ١٦/١/١٤٢٣هـ

قطعة من الرجز في وفاة فضيلة الشيخ عمر السبيل

للشيخ محمد عبد الله الشنقيطي

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

قضى الإمام الشهم شيخ الحرم ... عمرُ نجلُ شيخِنا المكرَّم
محمدٍ نجلِ السبيل السَّنِي ... من بالمكارم وبالعُلا عُني
عصرَ العَروبة[1] مُهَلَّ شهرِ ... محرم فيا له من أمرِ
عامَ ثلاثةٍ وعشرين وأرْ ... بع من المِئينَ معْ ألفٍ تُقَر
بالعدلِ في مكة عصرَ ثاني ... محرم دُفنَ بالإحسانِ
وعمرُه (مُدَّ) إلى الخيراتِ ... حَبَاه رَبُّه ذرا الجناتِ
ورؤيةَ الباري مكرَّماً بما ... به الشهيدُ في الجنان كُرِّما
مجاوراً خيرَ نبي أُرسِلا ... وصحبَهُ مُنعَّماً مُبَجَّلا
وآجرَ الجميعَ في مُصابهِ ... وحَفِظ الأولادَ في غِيابه
والوالدَيْنِ وكذا الإخوانُ ... والأهلُ والقبيلُ والجيرانُ
وفي الجميع بارك الإلهُ ... مُكرِّما كُلاً بما رَجاهُ
صلى وسلم على محمدِ ... وآله وصحبه والمقتدِي

---

(١) أي الجمعة.

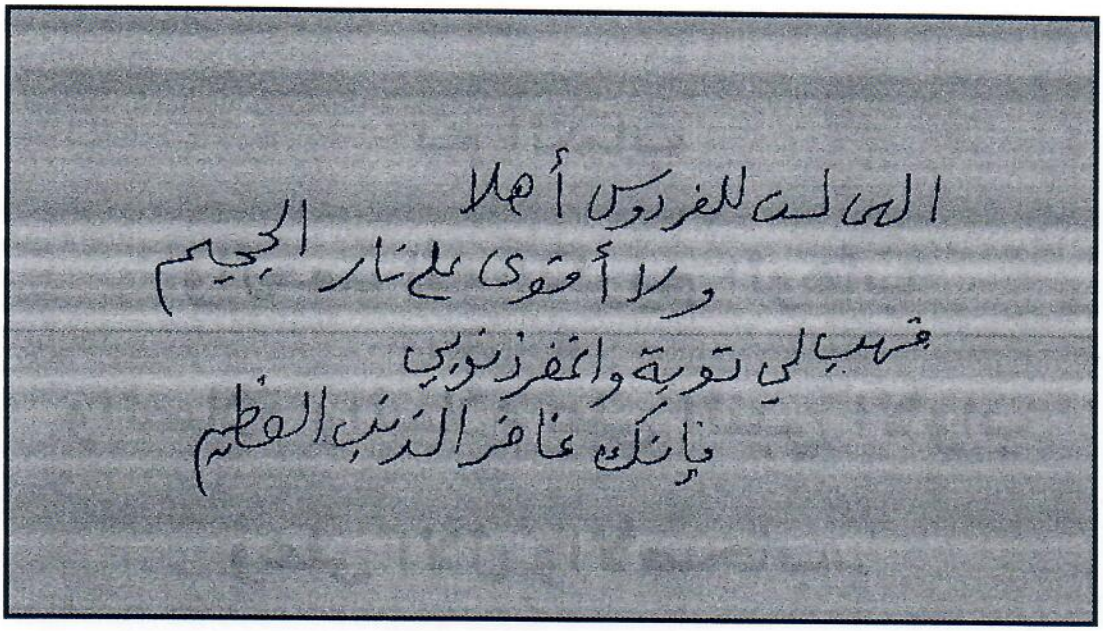

بيتان من الشعر بخط الشيخ عمر السُبَّيل رحمه الله تعالى

تم الكتاب

والحمد لله الكريم الوهاب

والصلاة والسلام على النبي الأواب

وعلى الآل والأصحاب،،

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

١. القرآن الكريم.

٢. إبهاج الحاج، الدكتور ناصر الزهراني.

٣. أحكام الجنائز، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.

٤. الآداب الشرعية، الإمام أبو عبد الله بن مفلح المقدسي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط و عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق/ الشيخ مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

٦. إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل، الإمام عبد الرحيم بن عبد الله الزريراني، تحقيق الشيخ د. عمر السبيل، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ.

٧. الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية، معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ١٤٢٢هـ.

٨. تتمة الأعلام.

٩. تذكرة السامع والمتكلم، الإمام بدر الدين بن جماعة الكناني الشافعي، تحقيق / عبد السلام عمر علي، دار الضياء، ١٤٢٣هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير، تحقيق / محمد عبد الوهاب البنا، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ.

١١. جامع بيان العلم وفضله، الإمام أبو عمر بن عبد البر، تحقيق/ أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ.

١٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق/ د.

محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.

١٣. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، دار إحياء التراث العربي.

١٤. حلية طالب العلم، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة.

١٥. رعاية الحرمين الشريفين، معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل.

١٦. سير أعلام النبلاء، الإمام محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على التحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

١٧. صحيح البخاري، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

١٨. صحيح مسلم، الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

١٩. جامع الترمذي، الحافظ أبو عيسى الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

٢٠. سنن النسائي، الحافظ أحمد بن شعيب النسائي، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

٢١. سنن أبي داود، الحافظ سليمان بن الأشعث الأزدي، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

٢٢. سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ.

٢٣. صفحات مشرقة في حياة الشيخ عمر السبيل، مشعل بن غنيم المطيري، (مخطوط).

٢٤. صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة.

٢٥. صور وعبر من حياة الشيخ عمر السبيل، أحمد دباء العسيري، (مخطوط).

٢٦. علماء الحنابلة، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

٢٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار السلام، ١٤٢١هـ.

٢٩. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق/ الشيخ عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي.

٣٠. قبسات من خطب الحرمين، حلمي السداوي، المجموعة الأولى، مكتبة السداوي، ١٤٢٢هـ.

٣١. كتاب العلم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد/ فهد السليمان، دار الثريا للنشر، ١٤٢٠هـ.

٣٢. كشف الكربة، الشيخ علي بن عبد الخالق القرني، دار طيبة الخضراء.

٣٣. لسان العرب، الإمام أبو الفضل ابن منظور الأفريقي، دار صادر، ٢٠٠٤م.

٣٤. مجموع رسائل ابن رجب، تحقيق/ طلعت الحلواني.

٣٥. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الشيخ عبد القادر بن بدران، تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

٣٦. المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، الشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، ١٤١٧هـ.

٣٧. معالم التنزيل، الإمام أبي محمد الحسين البغوي، تحقيق/ محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ١٤٢٣هـ.

٣٨. معجم بلدان القصيم، الشيخ محمد العبودي.

٣٩. معجم مصنفات الحنابلة، الشيخ عبد الله الطريقي.

٤٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق/ الشيخ مأمون خليل شيحا، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ.

٤١. من مشاهير الجزيرة العربية.

٤٢. موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية.

٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بإشراف د. مانع الجهني.

الصحف والمجلات:

- صحيفة المدينة.
- صحيفة عكاظ.
- صحيفة الجزيرة.
- صحيفة البلاد.
- صحيفة الندوة.
- مجلة الدعوة.
- مجلة شباب.

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

تقديم معالي الدكتور صالح بن حميد ٥

تقديم فضيلة الشيخ صلاح البدير ٧

مقدمة المؤلف ١٣

بعض الكتاب ١٨

الفصل الأول : الشيخ عمر منذ الصغر :

المبحث الأول: اسمه ونسبه ٢١

المبحث الثاني: ولادته ٢٣

المبحث الثالث: نشأته وبيئته..... ٢٤

الفصل الثاني: حياته العلمية :

المبحث الأول: طلبه للعلم ٣٩

المبحث الثاني: أشياخه ٤٧

المبحث الثالث: مؤهلاته العلمية ٥٠

المبحث الرابع: مذهبه وفقهه ٥٢

الفصل الثالث: شمائله وأخلاقه:

المبحث الأول: أخلاقه مع أشياخه..... ٦٧

المبحث الثاني: أخلاقه مع زملائه ٦٩

المبحث الثالث: أخلاقه مع طلابه..... ٧٩

المبحث الرابع: أخلاقه مع عامة الناس ٨٣
المبحث الخامس: دعوته إلى الله تعالى ٨٧
الفصل الرابع: أعماله ومناصبه:
المبحث الأول: إمامته: ٩٧
المطلب الأول: إمامته في غير المسجد الحرام ..... ٩٧.
المطلب الثاني: إمامته في المسجد الحرام ..... ٩٨.
المبحث الثاني: خطابته في المسجد الحرام ٩٩
المبحث الثالث: تدريسه: ١٠٥
المطلب الأول: تدريسه في المسجد الحرام ١٠٥
المطلب الثاني: تدريسه في جامعة أم القرى ١٠٩
الفصل الخامس: آثاره وطلابه ١١٣
الفصل السادس: فاجعة وفاته ١٢١
الفصل السابع: أبرز ما قيل في الشيخ الجليل
المبحث الأول: أبرز ما قيل فيه نثرا ١٣٥
المبحث الثاني: أبرز ما قيل فيه شعرا ١٩٣
بيتان من الشعر بخط الشيخ رحمه الله تعالى ٢١٣
المراجع ٢١٧